أَذُوبُ عِشْقًا

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الكتاب: أَذُوبُ عِشْقًا
اسم المؤلف: د. السيد النحراوي
التدقيق اللغوي: خلود أحمد
تصميم الغلاف: محمد دربالة
الإخراج الداخلي: خالد محمود
رقم الإيداع: ٢١٠٥٥ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٩٣-٥-٤

مسار للنشر و التوزيع

ش- حسن خطاب – قسم يوسف بيك – الزقازيق – الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

أَذُوبُ عِشْقًا

د .السيد النحراوي

مسار
للنشر و التوزيع
Masar publishing & Distribution

إهداء

إلى من تجسدت فيها آيات العشق:

أسْطُرَا،

وكلمات،

وحروفا

.. وكينونة.

فصارت في العشق مضربا ومثلا.

أحببتها جهدي،

وعشقتها فيض أنفاسي،

وترنمت بإسمها في خطراتي وخلواتي.

تلك أنفاسي، وفيض مشاعري، ونبض قلبي، وخلجات فؤادي، عشتها وعايشتها زمنا، تجسد مشاعر كل حبيب وعاشق ورحلته بين الحس والشعور.

رابط صفحة قناة المؤلف على اليوتيوب :

https://www.youtube.com/channel/UC0Lv--dAB_vAJRZubUtksog/videos

العلاقة بين الرجل والمرأة على ثلاثة أنواع:

علاقة تقوم على الشعور، وأخرى تعتمد على الحس، وثالثة يمتزج فيها الحس بالشعور.

والشعور من عمل القلب، وهو علاقة تجريدية جوانية فطرية.

والحس هو لغة الحواس، وهي علاقة حسية برانية غريزية.

أرقى هذه العلاقات الثلاثة: تلك التي تقوم على المشاعر، فتُزكِي الوجدان، وتسمو بالنفس، وتهذب الحواس، وتسمق بالفؤاد، وتسافر بالروح إلى عالمها.

والفرد في علاقته مع الجنس الآخر يتأرجح بين هذه وتلك، فتسمو نفسه حينا بالمشاعر الصادقة، وتسفل حينا آخر بالحس المشتهَى.

وقد كانت العرب قديما تستحسن الغزل، وتمتدح العشق والعشاق، وكانت تسميه "حبا عذريا"، وما ذاك إلا لأنه يقوم على الشعور، ولا دخل للحس فيه.

وفي هذا الكتاب يعكس الكاتب رحلته وتجربته بين الحس والشعور، ورؤيته وتصوره عن عميق الشعور بديلا للحس المغرق، بوصفه حلا ومخرجا ومنقذا تربويا لتأزمات الشباب في علاقاتهم مع الجنس الآخر.

غمــوض

من اللحظة الأولى التي يقع ناظريك عليها

تحس أن فيها سحرا تبديه

وفتنة تخفيها

وجاذبية تأسرك إليها

وحوارا هامسا يدور بينكما بلا ألفاظ.

مكتملة الأنوثة، طاغية الجمال، وادعة الطرْف، حييَّةُ النظرات، دفاقة المشاعر، عَذوبة الصوت، شهية التناول، شجية المعالم. رقيقة التصرف، أليفة المعاشرة، تحس فيها بأصالة المعدن، وطيب المعشر.

أشد ما يجذبك فيها غموضا لا تعرف تفسيره، ربما ذاك لأنها تعيش في عالمها أكثر مما تعيش واقعها.

تستشعر أنها معك ببعض مشاعرها والكل ذاهب خلف أمل ترتجيه، أو خوف تتقيه، أو تجربة تحت تأثيرها.

وكأن فيها بعض المخمور وعيُه، وكل النشوان مشاعره.

تتدفق منها المشاعر تدفق الشلال الذي يبهجك منظره وتخيفك

أحيانا قوته وشدته.

تتمنى لو تسكبك ما في داخلها من المعاني فيتراقص داخلك كله فرحة ونشوة، إلا أنك تخشى أن تجرفك معانيها في بحر طاغ لا تبصر له حد، ولا تعرف له قعر.

بسمتها أمل يكسوه خوف

وبهجة يمتزج بها وجل

وإقبال وجه يردفه إنحسار نظرات.

عجيبة هي كل العجب، تبثك سر وتخفى عنك أسرار.

تبديك بعض ما تملك وتخفى عنك جُله.

ولعها خافت عليك أن تبدى لك جُل ما لديها خوفا عليك، ورأفة بك من أن يأسرك منها حسن فتان يأسر، أو جمال طاغ يغير، أو سحر فتاك يقتل.

صَوْتُها وعَيْنَاهَا

أمر لا خلاف عليه ولا شك فيه؛ أنني أستطيع أن أشعر بها لأقصى حد، وأستطيع أن أتلمسَ حقيقة مشاعرها لأقصى بُعد وأن أغوص في تيار وجدانها المتدفق لأقصى عمق وقعر.

إنني أحس بأنني أمتلكها امتلاكا وبأنني منساب في سراديب أعماقها بلا حاجز يحجِزني أو عائق يوقفني.

لقد فتحت لي مغاليق قلبها فاخترقت.

وملَّكتني كنوز نفسها فامتلكت، وقالت:

إن مثلي وإياك كالصائغ والجوهرة

أو كالمثَّال والتمثالِ المعجزة.

إنني أعشقها عشق الطفولة

وأهواها هوى الصِّبا

وأهيم بها هيامَ المراهقة

ثم أستفيق هنالك عند صحوةِ الرجولة، وترشدِ الكهولة لأدركَ حينئذ أنها أحلام شاعر وملهمتُه، أو إيقاعات موسيقيٍّ ونغماته الحية،

أو تصورات مفكر وبناتِ أفكاره.

إنه عشق إلى حد القداسة بلا كفر.

وصبابة إلى مستوى التعبد بغير ضلال.

ورهافة حس توصلك حتما إلى رقة النسيم ومنها إلى المعالي من الأمور.

آه منها..

آه من عينيها الهائمتين، اللتين تسبحان في بحر من الدموع فلا هي تتكاثف إلى حد السقوط، ولا هي تجف إلى حد الذوبان والتلاشي

بل تظلان تبثانك الشكوى على لهيب

وتبوحان بسرهما المكنونِ على وجد

وتفتحان لك ألف باب لتنطلق في رحابة بلا مظلة

وفي مرتع بلا قيد، وفي بحر خضم، فتظلُ تَعُب منهما بلا شبع، وتسكرُ منهما بلا مدام، وترتوي منهما فتزيدك ظمأً على ظمأ، حتى إذا ما أحسست برجفة تسري في أوصالك، وتخدر رقيق على مهمل ينمِّل أطرافَك، فإذا برأسك يتثاقل، وجسمِك يترنح، وأنفاسِك تهدأ وقلت أنها هي النهاية جاءك صوتُها من وراء الغمام يبشرك بشرى السقيم برء من سقمه، وبشرى الحبيس انطلق من سجنه وحطم قيدَه، وإذا هو يقول لك: أنت أنت ولا سواك أحد، أَفِقْ بغير نوم، وانطلق بغير قيد،

وعش أبدا بغير مهلكة .

ثم آه من صوتها..

رقيقٌ في غير تميُّع

ضعيف في غير تقطع

منسابٌ في غير تردد

نفاذٌ في غير حدة

يحمل من المعاني أجمعَها ويفيض

تتجلى فيه المشاعرُ وتتضح.

إنه صوت معبر في بلاغة، صادقٌ في غير تكلف.

يخفت أحيانا إلى حد السكوت؛ فيُبلغ الصمت في الإفصاح عنه، ويعلو أحيانا إلى حد الإغراق؛ فتودَ حينئذ لو قُتلتَ به.

أيها الصوت الطروب

أيتها العين الشرود

اقتلاني بكما لأحيا، خذاني إليكما لأتحرر، أحملاني في تياركما لأعبر.

إياكما أهوي، وإليكما أكتب، وعنكما أتغنى وأُنشد.

يا صاحبتي:

أرجوك أرجوك، كفاك حزنا فقد قتلني حزن عينك.

سيدتي..

إنني أشعر بك في غياب

أتلمسك في خفاء

تسافر إليّ أحلامك في بُعد

تتقافز نحوي أطيارُك في هجرة.

سيدتي..

سعادتُك هي ما نطلب

والاطمئنان عليك ما نريد

وسلامتك من كل ما يسوء هو ما نبغي

.. والسلام.

الكتابة عنها

مرات ومرات..

أحاول أن أستحث نفسي بالكتابة عنها فلا أستطيع

أن أستجمع مشاعري برسم صورة لها فلا أقدر

أن أتجاسر بنقل صورتها من القلب إلى العقل ليترسم معناها لفظا موحيا، أو معنىً محققا فلا أعرف.

.. لِمَ؟

وأنا الذي أملك ناصية الكلم؟

وأعرف أسرار المعاني؟

وأستطيع الغوص خلف حالات نفسي متتبعا لها؟

هل لأنها فاقت كل من عرفت خِلقة، وخُلقا؟ ربما!

هل لأنها تحمل في طياتها تلك المعادلة صعبة التناول، عصية الفك، معقدة التحليل:

قاعدة البساطة في عمق

والبلاغة في يسر

والجمال الطاغي في غير تكلف

إن فيها من الجمال الفطرة، وفيها من الفطرة اقتدار الصنعة، وفيها من الصنعة دقة الخَلق وتمامه.

كل الذي أستطيع قوله أن كل مساميَ المغلقة تتـفتح حال رؤيتها، وكل دقائقي التي باتت في غفلة تتيقظ مع ملمحها، وكل ذراتي المتوارية حُجبا تتقافز فرحا وطربا لها.

إن كليّ النائم يستيقظ، وكلي المتيقظ ينتبه، وكلي المنتبه يتفطن ويعي، وكلي الواعي يدرك ويوقن، ثم يتحول اليقين بداخلي إلى شك متداخل واهتزاز متقلب..

أهذا الذي أراه حِسا أُمسكه، أم خيال أتتبعه وأنشده؟

آه من الطيف إذا تحول إلى حقيقة

وآه من الحقيقة إذا حولها الخوف إلى مظنة

وحولتها الظنون إلى توهما.

شعور غريب أحاول وصفه، وتيار متدفق أحاول السير فيه واعتلاء ناصيته، وهالات متعددة أحاول السباحة في ضوءها، واسترسال فِكَرْ أحاول لمتها ونظْمها، وسخونة أعصاب أحاول بت منبعها، وفصل مصدرها.

حين يملك الشعورُ الحسَ فيسيِّره، وحين ينفصل الحسُ عن الغريزة فيبطلها.

وَصْفُهـا

سيدتي ما حِرتُ في وصف امرأة كما حِرتُ فيك.

فكيف تصف العينين ما لم تره؟

وكيف ينفعل العقل تجريدا لما لم يتصوره؟

مضمون بلا شكل، ذات بغير صفات، صورة بغير أُطُر.

يحجب وجهها البهيُ نقابٌ تلبسُه

وتستتر عينيها الخضراوتين خلف نظارة ترتديها، ويختفي قوامها الخلاب خلف عباءة فضفاضة تغوص فيها.

تحاول أن تتأملها.. فلا تستطيع

أن تبصر قسماتها.. فلا تعرف

أن تراوغها بما يكشف لك عن كنهها.. فلا تتمكن

أن تتبين معالم أنوثتها بما عجزتَ عن اكتشافه فيها.. فلا تقدر

ما يبدو لك منها غير صوتُها البهي في وداعة، الشجي في إعجاب، الرَقراق في تودد، الذي يتمدد في مساحات تتوسع دوائرها فيأسرك،

ويغوص تياره في عميق فؤادك فيجذبك. تبلغ به الرقة حدها، والنعومة منتهاها. زاخر بمعانيه، ممتلئ بما يدل عليه.

أساءل نفسي:

هل أعاينها معاينة رجل لامرأته؟

أم أتغزل فيها تغزُّل شاعر لملهمته؟

أم أهواها كعشق الصب لمحبوبته؟

أم أتأملها تأمُّل المفكر لبنات أفكاره إذا انعكست صورتها في مرآه وعيه؟

تَرَاسُل

سيدتي

ما هذه اللغة الغريبة، التي تتسق حروفها، وتنتظم علاماتها، وتتقافز معانيها سفرا إليك كلما رأتك عيناي، أو سمعتك أذناي.

ما هذا الذي يسري بداخلي؟

ويتموج بأعماقي؟

ويرتسم في صفحة فؤادي؟

وتتراسل خيالاته في ذاكرتي؟

ما هذه اللغة المعبرة بغير قلم؟!

البليغة في غير خطابة

المزركشة بغير تلوين

المستفيضة بغير طفو

إنها تجاذبٌ للحديث بين روحين

وتناجٍ مستمر بين قلبين

وتناغمٌ متناهٍ بين نفسين

هل هو التعلق؟

آه.. أخاف أن أرسل حروفي إليك، بل أخاف من نفسي عليك.

لا أستطيع الفكاك من عينيها التي تطاردني في كل مكان، وتقتحم عليّ كلَ خلوة، وتزاحمني كل مقعد، وتفترش مني كل جنب.

الدَّامِعَتَيْن

على الرغم من أن عينيها الدامعتين كانتا أهم ما جذبني إليها، إلا أنهما الآن أهم ما أحزنني فيها.

وعلى الرغم من أن قلبها الباكي كان أهم ما أخذني لها ولفتني إليها؛ إلا أنه هو ما يدعوني الآن للموت كمدا عليها.

لم أكن أعلم بأنني أحبها إلى تلك الدرجة، أو أنني مأخوذ إليها إلى هذا الحد، حتى أن مجرد التفكير في كوني سأفقدها يوما ما، يمثل لي آلاما دفينة لا يستطيع تحملها قلبي الرهيف.

هل حقا سيأتي علي يوما ما أصحو فيه من نومي فلا أصطبح فيه بوجهها البهي

وصوتها الشجي

وعينيها اللامعتين

وضحكاتها المتفائلة

وصوتها الطروب.

هل يمكن أن أفقدها بهذه الصورة المفجعةِ الأليمة.

يا سيدتي أحبك حتى النخاع

أهواك حتى الصبابة

أعشق ذاتُك حتى الانتحار

أتمثل صورتك أمام مخيلتي حتى الجنون

أتعلق بها حتى القداسة

مشتاق إليك

متلهف عليك

أسيرٌ لديك

كيف تشوقينني إليك حتى الصبابة، ثم تنتزعينني منك حتى القتل؟

كيف تصلبينني على حبال الفراق، بعد أن علقتيني في حبال المودة؟

سيدتي صدقيني

صدقي قلبي الذي يئن

وروحي التي تحن

وفؤادي الذي يهفو

سيدتي حبك يثري كياني، ويهز جناني.

كُلٌّ مُتكامل

هذه المرأة التي أشبعت قلبيَ عاطفة
وروحيَ تحليقا
وعقليَ تأملا
هذه المرأة التي روتني من الحب حتى امتلأت
هذه المرأة التي ذابت فيها ذرات جسدي حنينا وشوقا
أحبها جهدي
وأعشقها طاقتي
وأهيم فيها قدر استطاعتي
لم أخف في حبها شعورا
ولم أكتم في هواها عاطفة..
تفضحني بحبها عيناي
وتكشف عن مكنوناتها بداخلي فلتات لساني
أغالب فيها هوى جارفا

وعاطفة متوقدة

وحنينا ملتهبا...

يعجبني فيها كيان متكامل تعجز عن تفتيته أشتات

فلا العقل وحده يأسرك

ولا الأخلاق بذاتها تأسرك

ولا الجمال، ولا الفتنة والجاذبية..

كُلٌّ متكامل إذا تأملته فرادى أسرتك المفردة منه حتى النخاع، فما بالك باجتماع الكل في كيان واحد

سيدتي:

رفقا بمن أحبك حتى النخاع

ولطفا بمن عرَّض نفسه للأسر في هواك

أحْسني أن تملكيه فإن له نفسا حرة تأبى الضيم إلا في هواك

لا تعذبيه فإن النعيم أن يهواك.

رَجُلٌ مُحِبٌ أم محبٌ رَجُل؟

أشدَ ما يحزنني أنها لا تفرق بين كوني محبا، وبين كوني رجلا. ولها أن تتساءل:

وهل بين ذلك اختلافٌ، أو ثَمة تناقض؟

إن سلوك المحب ربما يتناقضُ أحيانا بينه وبين سلوكه كرجل.

إن المحبة لا تتحققُ أبدا، ولا تكتملُ إلا إذا خضع الحبيبُ لمن يحبُه؛ خضوعَ ذوبان وتلاش فيمن أحبَه، خضوعا يورثُ عزة، ولا يثمر مذلة، خضوعا لا تتبينٌ معه فرقا بين ذات وذات، بل هي ذات واحدة تعددت صفاتُها، وجوهرٌ متوحدٌ وإن اختلفت مظاهره، ومضمونٌ متماسك بأشكال متغايرة.

إن المحبة التي لا يتساوى فيها الطرفان؛ هي محبةٌ منقوصةٌ لمعادلة مغلوطة، ولكنه ليس تساويا يعبر عن تكافؤ لأطراف متباينة؛ بقدر ما هو تناغمٌ يعبر عن ذرات متداخلة ومتكاملة تشكل كلاً متناسقا.

وليس معنى أن المحبة خضوعٌ من طرف؛ أنها هيمنةٌ من الطرف الآخر.. كلا.

إن الذَّكرْ حين يعشق أنثاه، ويهيم بها شوقا يراها مِلكة متوجةً على

قلبه، تمتلك عليه جوانحَه، تأسر كيانَه كلَه، يراها في كل لحظة، ويعشُقها على كل حال.

إنني أحبها كمحبٍ رجل، وليس كرجل محب.

والفرق بين الأولى والثانية كبير..

فتقديم الحب على الذكورة هو تقديس لمعنى الحب، وتوارٍ لمعنى الذكورة،

فالحبيب لا يرى في محبوبهِ غيرَ ذاته وإن توارت صفاته

ولا يعشق فيه غيرَ جوهره وإن تباين مظهره

ولا يتعلق فيه إلا بالمضمون على حساب الشكل.

أما الرجلُ المحب؛ فربما تسربت منه فحولته فأحدثت شرخا في جِدار الحب، أو سبقه حسُّه فعكَّر عليه صفو شعوره، أو غلب بصره بَصيرتَه، أو اقتاتت من قلبِه بعضُ نوازِعه.

آه لو أن شباب اليوم يفهمون أن الحب معنىً وشعور، قبل كونِه حساً وغريزة؛ بل ربما أوقف الشعورُ الحواسَ فروضها وهذبها، فصار المحب شخصا عميقا فكره، متقدا وجدانه، حييةً نظراته، مستقيمةً أخلاقه.

وإنه لفرق كبير بين الرجولة والذكورة؛

فالذكورة جنس، والرجولة خلق.

وإذا انفصلتِ الذكورةُ عن الرجولة، تسافل صاحبُها وانحطَ في مهاوي الرذيلة، ووحلِ البهيمية الممقوتة، وفقد أعزَ وأشرفَ ما يملكه البشرُ؛ العقلَ والشعورَ.

أحبب من شئت إذن، دون أن تسبقَك إليه غريزةٌ تطلب، أو شهوة ترغب؛ بل دع قلبك يسافر إليه أولا، وعواطَفك ترتحل إليه مقدما فإن ذلك أدعى لدوام العلاقة وتأبيدها، وحيويتها ونضارتها. فإن ما يبنى على القلب لا تهدمه شهوة، وإن ما يحفظه العقلُ لا تواريه غريزة، وإن ما يستقيم بناؤُه على القلب والعقل لا ينهدم أبدا.

عاطفةٌ وأنوثة

.. " ونسيتُ أني امرأة "

كم آلمتني تلك العبارة وفتَّ في عظمي لفظها، وجرح مشاعري حديد حروفها، وأثقب قلبي حد مرارتها.

قالتها بشيء من الحزن يقترب من النشيج والتأوة.

والشكاية والتبرم، والضجرِ والجزع.

حين يصلُ تجاهلُ المرأةِ أنوثةً وعاطفة..

ماذا بقي لها كي ترتجيه، أو تبتغيه، أو تصبو إليه.. إنه الموات.

إن المرأة كيانين في طبيعة واحدة: أنوثةٌ وعاطفة.

وأكثر ما يسعدها في الحياة أن تجد من يروي عاطفتها في الوقت الذي يشبعُ أنوثَتها.

وهي قد تصبر على الثانية دهرا بأكمله دون تذمر أو شكوى، لكنها أبدا لا تستطيعُ الصبر عن الأولى

.. نعم.

قد تضحي المرأةُ بأنوثتها تجاهلا ونكرانا، لكنها أبدا لا تسامح من يتجاهل عواطفها، ويتنكر لمشاعرها، ويزدري عميقَ أحاسيسها.

إن ما يفعُله تجاهلَ أنوثةِ المرأة قد يصل بها إلى حدِ القتل، أما تجاهل عواطفها فهو القتل نفسه، والجريمة ذاتها، والجرم كله.

كيف لرجل؛

غبي التصرف

أحمق الفعل

أن يعامل إمرأةً على مبدأ الغريزة وحده، فيراها جسدا منزوع الصفات، وأنثى بغير ذات، وشهوة بلا كينونة، وجسما لا يستند على عقل وعاطفة.

إنها قوية وإن بدت ضعيفة

قادرة وإن لفها ثوب العجز

تبدو مسلوبة الإرادة أحيانا؛

لكنها سرعان ما تتحول لمارد قوي شديدة عزائمه

قوية مخالبة، فيفتك بمن أهانه أو سلبه كينونته وطبيعته.

إن المرأة لغز كبير لمن لا يفهم، طلسم لمن لا يعقل. إنه الوضوح الذي يبهرك غموضه، والغموض الذي يحجبك سره.

عام جديد

سويعات قليلة متبقية، وأستقبل عاما جديدا من أعوام عمري التي تمتد لتفترش جزءا من خريطة زمن لا انتهاء لأيامه ولياليه، هو العامُ كمْ بمعيار العدد؟ لا أدري، وذلك ليس لضعفي في عالم الحساب والأرقام فحسب، ولكن لأنني أوقن أن عمري لا يحسمه عدَّاد الزمن؛ بقدر ما تحسبه دقائق الخبرة، ولحظات التجربة. آه آه من لحظة تسير باندفاع مهُول لا أستطيع أن أوقفها، آه من انحدار شلال رهيب لا حاجزٌ يستطيع رده.

وكعادتي دوما، وقفاتٌ مع اليوم، وقفاتٌ مع الشهر، وقفاتٌ مع السنة؛ بل وقفاتٌ مع النَّفَس الذي يخرج ويدخل ... أين أنا؟ في أي اتجاه أسير؟ كم شوطا قطعت؟ هل من تحولات غيرت المسار؟ هل من تغير نوعي اعتراني تياره؟ ما أبرز مظاهر التغير اجتماعيا وجسديا والتي لم تكن تشغلني سابقا؟ هل من اهتمامات جديدة تستحق التأمل؟

قف يا سيد أمامك نفسك مرة أخرى، كفاك عنها غفلة وانشغالا.

تَهْنِئَةٌ

حبيبتي..

هل تسمحين بأن أقدم لك في هذه المناسبة باقةً حمراء الزهر، ندية الورد، طيبة العطر، تلفُها مشاعري، ويحوطها قلبي، وتترنم ببريق لفظها روحي. هي رمز كلِ جميلِ باطنه، وعلامةُ كل عميق مخبره، وشعارُ كلِ أصيلِ داخله، تعَبر عنيً بدقيق الإشارة، ولطيفً العبارة، وخفي المعَنى.. توًجز الكلامَ لفظَه، وتعمق اللفظَ معناه.. هي أقلُ ما يُقدم إليك، وأعظم ما يعبِّر عنك.. فاقبلي مني.. ما هو مني. فإن أعظم ما يقدمه المحب للحبيب نفسُه وما ملك.

حبيبتي دومي لي روحا أكن لك الروح، كوني لي القلبَ أكن لك الفؤاد..

فما أجملَ أن يتوثق الحبيبان، ويتوحدا فلا يفترقا.

هما روح واحد، وقلب واحد، ومعنىً واحدٌ متعدد الوجوه.

خوفٌ وطِمَأْنِينَة

قرأت في عينيكِ خوفا لا حد له،

واسشعرت من صوتك ضعفاً لا قوة فيه.

ألا فلتعلمي علمَ يقين لا شك فيه، وتأكدي تأكُّد إيمان لا ظن معه، أنني لن أتخلي عن قضية آمنتُ بها، ولن أتنكَّب عن طريق تيقنت منه، ولن أقعد عن حق رأيتُه، ولن أنكص عن رأي قطعتُه. فلتطمئني قلبا، ولْتسكني نفسا، ولْترتاحي بالا؛ فإن للحق جنودا يخدمونَه، وإن له حراسا يرقبونَه، فإن كان زواجك من رفيق دربك، هو حق مكتوب، وواقع منسوب، وقضية مثبوته، فاعلمي أن ما يحبُه لا يتنازلُ عنه، وأن ما يطمئنُ له قلبُه؛ إنما هو عن بصر، وعميق فكر، وطول ممارسة، وتحليل ونقد، وتفنيد وتمحيص، فاثبتي ولا تتزعزعي، واحلُمي ولا تعجلي، وارتاحي ولا تضطربي.

ما عاد في الطريق إلا أقلُه، وما بقي حتى الوصول إلا أقصرُه.

... وما فتئ العمر يجري وأمانيٌّ المرءِ تطلبه.

سُقيا لأيام قضيتُها يُسكرني فيها الأمل،

ويحدوني الوجل،

ويسقيني الرجاء،

ويسامرني اليقين،

ويدفعني الشوق،

وتهزُني الصبابة،

ويسافر القلبُ في كل البلاد،

ويقطعُ كل المفاوز،

ويتخطى كلَ الحواجز،

ويجتازُ كل العقبات،

ويستعصي على كلِ المُغْريات.

آه ليتها تعود، وأظنها يوما ما ستعود.

ستعود أيامٌ قضيناها ما غيرتنا فيها مدنية، وما لوثنا هوى، وما صاحبنا غي، ولا ساورتنا شكوك، ولا ناهضتنا خطوب، ولا اقتاتت أنفسنَا تجارب، ولا اتخذنا غير الله فيها رفيقا، بل كنا سادةَ الدنيا، عزيزةً نفوسُنا، قويةً عزائمنا، شديدةً في الحق أفئدتنا، لا تقبلُ الضيمَ أراوحنا..

آه ألا ليت شعري هل يرجعُ الهوى القديم، والحبُ الغائب، والشوقُ المتدفق، والروحُ الملتاعة، والنفس المعذبة..

هل تراها يوما ستعود؟

نعم نعم أوقن يوما بالعودة والرجوع، والتمكنِ والسطوع.

اترك الفكرة تستريح

حالة من فوضى المشاعر، تصحبها حالة من الارتباك الفكري الشديد، يمتزج بهما حالة من فقدان الوعي التي تُفقد صاحبها معيار الزمن، معيار التذوق، معيار الثبات.

هل أتقدم؟ هل أتراجع؟ أين أنا؟ كيف سأكون؟

هل المستقبل متصل بالماضي بينهما اتفاق الغاية وتوحُّد الهدف؟ هل تخليتُ عما كنت أومن به؟

هل حولتني الأحداث، وغيرني مر الزمن، وعصفت بيَ التجارب فبتُّ منبتا لا جذر لي ولا فرع؟

لا أرضا قطعت ولا ظهرا أبقيت؟

هل ما زالت أمانيَّ العِذاب تحركني وتدفعني؟

هل ما زال طموحيَ الدفاق يُعمل همته الملتهبة بداخلي؟

هل ما زالت حركتي الدءوب يسيِّرُها هدف واضحٌ غايته؟

أم أضحت حركة هوجاء يسيِّرُها الموج في كل مكان؟

هل مازال التوازن الذي يلازمني في كل مناحيَّ أساس تكويني؟

أم جنح بي تيار ما حولني عن مساري؟

ما موقع أمور كثيرة مستجدات على خارطتي؟

يا ترى كيف أضحت صورة نفسي في مرآة نفسي؟

عشرات الأسئلة تلاحقني؟ علامات استفهام تغرقني؟

حاولت أن أبحث عمن أستفتيه أمري، ويجتهد رأيه بشأني.

عما قليل رويت له عن بعض ما يعتريني أمره، ويقلقني شأنه.

أجابني (أحمد) الذي أحبه حب الصديق، وأعامله معامله الأخ، وأعتز به كما الابن، وأستريح له كما المحب، وأُجِلُّه كَمَا الشيخ. قال لي كلمات كثيرة فبت ساعتها أتمنى لو زادني وهو المُقِل كلامه، لم أعثر في إجابته وقتها عما يستريح به الفؤاد المضنى، والفكر المشتت. راح وتركني، أو هكذا أردت أن يكون.

بعد ساعات حينما آواني ما يستريح به الجسد المعنَّى جاءتني عبر الطيف كلماته:" اطرد الفكرة من ذهنك، ودِّعها من خيالك فلو تركتها استرحت يا أخ سيد".

آه آه، ما الذي تقول يا أحمد، قفزت من مكاني كمن عثر عما يرتجيه في المكان الذي لا يتوقعه.

(اترك الفكرة تستريح) آه يا أحمد وكأن الفكرة هي التي تؤلم صاحبها، وكأن تراسل الأفكار هو الذي يعكر صفو المشاعر؟

إن السر في اكتشافي كلمة أحمد، أنه عكس المعادلة التي كنت أراها مقلوبة بداخلي.

كنت أرى الشعور هو الذي يتعب الفكر، وأحسب أن العاطفة هي التي تؤجج المنطق. فإذا به يحاول علاجي بعكس الطريقة التي أصابني بها مرضي. طلق الفكرة يشفى الفؤاد، افصل نفسك عن العقل يسترح بك القلب.

هل مرضي هو الفكرة، وعلاجي تركها؟

هل علتي تحيُّر الفكر، فإن عزلت تفكيري عن شعوري صحا شعوري وتبلج بالإصباح تفكيري؟

كانت عظمة فكرته أنه بتلقائية شديدة يصحبها عمقُ مضمونٍ متناهٍ، أنه وجهني إلى نقطة جديدة بعد فاصلة، وأرضٍ بكر بعد مستزرعةٍ. نعم يا أحمد نعم بدون أن تدري سيدي؛ أو لعلك دريت، وضعت يدك على طعن نازف دمه، وجرح عميق قطعه. فإذا كان دائي هو العاطفة فليكن دوائي هو الفكر.

على مر السنين كان اقتصار دور الفكر في عاطفتي المفسرُ والمحلل، ولم يكن هو الناقد بالقدر الذي يمنع. أو المانع في الوقت الذي ينقد.

كان رحلة فكر عاطفتي رحلة المسايرَ لا المقاوم.

كان تصاحُب فكري عاطفتي، تَصَاحُبٌ يرهف الفكرة بالعاطفة،

ويعمِّق العاطفة بالفكرة، ويصنع من كلاهما مظهرا خلاب شكله، فياض تدفقه، وظيفيٌّ أداؤه، ناجح تجربته، فعال طريقته، ذاك أنه مقرون بهمة تحركه، وحركة دءوب تدفعه. وكانت تلك معادلة النجاح التي أومن بها دائما (القلب، والعقل، والحركة). اثنان في العالم المعنوي مكانهما؛ يُظهرهما في العالم المادي ثالثهما.

كانت رحلتي أبدا هي رحلة قلب فياض، وعقل جوّال.

لكن أي صورةِ تصاحُبٍ كانت بينهما. أيُّ علاقة مضمون جمعتهما.

هل يسبق عقلي عاطفتي؟

أم تسبق عاطفتي عقلي؟

أشاعر أنا أم مفكر؟ أمفكر شاعر؟ أم شاعر مفكر؟

كم كنت كثيرا أردد إن القلب عندي يعمل عمل العقل والقلب معا. أمعنى ذلك أن مساحة الشعور تطغى على مساحة العقل؟

فإن جاز لذلك أن يكونَ في سياقٍ، فهل تقرُّه كل السياقات؟

وكأنني أرى أن أحمد يلمِّح من بعيد، أو هكذا وجهتني إليه كلماته، أنْ تغير يا سيدي، آن الأوان لأن يحكم العقل عاطفته.

وأن توجه نظراته الثاقبة، نزوات العاطفة المثقوبة.

وماذا بعد يا أحمد؟

هل تكون تلك خاتمة المطاف، فاصلة السياق، عاطفة المعنى، محوِّلة الفكرة، مغيِّرة الأهداف، مرتِّبة المراحل؟

هل تكون بداية لعهد جديد فكره، عُمْرٌ كامل تصوره؟

هل هو النضج بعد المراهقة؟ والترشد بعد الغواية؟

آه يا أحمد، وهل راهقتُ أحلامي يوما حتى تستفيق مني أحلام مراهقاتي؟

وهل نزت بي مشاعري مرة حتى تُلجم أفكاري نزواتي؟

هل ملكني يوما جسدي فآن الأوان أن تستفق من جسدي إراداتي؟

آه يا صاحبي لو تعلم أنني أشارف على الموت نهايته.

وأتقي من العجز ضرباته.

وأستجمع في ذلك كله قوة الضعيف، وقدرة العاجز، وهمة الخاوي، ووصل المنقطع.

آه يا صاحبي، ربما تحيي الضربة التي تميت، وتُصحْ الوخزة التي تؤلم، وتشفي الجرعة التي تقتل.

لا تقلق صاحبي فربما أتاني الفرج من نوافذ اليأس،

وبلغتني الفرحة من شبابيك الغمة،

وبهرتني الحياة من حيث كنت أتوقع الموت العجول.

ربما صدرت مكاتيب القدر بغير ما تشتهيها مراسيل الأمل، وأتت عجائب الآمال بما لم يخطر قط على قلوب الرجال.

واستراحت نفس المعذَّب بما أقض مضجعه، وأثار خاطره، وأنَّت له نفسه.

إعتذار

سيدتي إليك أعتذر، ولك أستغفر، ومنك أطلب الصفح.

سيدتي كان جرم خطير فعلته. كانت جريمة منكرة ارتكبتها. كان فعلا مشينا لن أعد إليه، كان قصدا منكرا دعوت الله ألا أفكر فيه. سيدتي اعذري عقلي فقد ضل، اصفحي عن قلبي فقد غوى، سامحي فؤادي الذي أثم.

سيدتي أعتذر إليك عن كفر بواح قد فعلته، وأستميحك عذرا عن حرام قد استحللته. كيف يجرؤ مثلي أن يفكر في سواك. أنَّى لعقلٍ جهول أن يستهويه غير معناك، أنَّى لقلب كفور أن تحدثه خواطره بنجوىً غير نجواك. ضلال بغير هدى، كفر لم يسبقه إيمان، غواية لم يتبعها ترشد. ظن أتي بعد يقين.

سيدتي أعرف خطأي، أدرك جُرمي، أعي جريرتي، أوقن بذلتي. سيدتي كيف لمثلي أن تدركه زوجه متلبسا بالفكرة، هذا هو الكفر بعينه، كيف لها أن تضبطه متوحدا بمعناها، هذا إثم.

إن الخلوة بأنماط الفكر لمثلي زنا، وإن التوحد مع أشتات المعاني دعارة، وإن معاشرة الكتابة عمل مشين، وإن مصاحبة الكلمات البراقة

فعل فاضح، وإن السفر مع بنات الفكر خلوة مع غير ذات محْرَم.

سيدتي أعترف وصدقيني لم أكن سببا فيما فعلت، هن من جذبنني إليهن، هن من أخذنني معهن، هن من صاحبنني حتى ارتكبت الجرم، هن من تبدَّى لي صُراحا فعاشرت، هن من قفزن في صفحتي فلامست، هن من دعونني وأنا ارتكبت، هن من سافرن إليّ ووافقت، هن من توحدن معي وأنا اقترفت، هن من لبسن لي ثوب السفور حتى غويت، هن من هوينني حتى هويت.

سيدتي أعدك أنني لن أتوحد مع فكرة بعد اليوم، سيدتي أعدك أنني لن أختلي بمعنىً أبدا.

كيف لعقل أن يختلي بفكرة تُدْعى "التعدد"، كيف لذهن أن يفكر بامرأة سواك حتى ولو كانت محض تفكير، كيف لوعي أديب أن تقرعه سيدة ربما لم يهواها غير خياله.

لا لا لن أفعل. لن تضبطي ذهنى يشطح، لن تمسكي بخيالي يسرح.

سيدتي منكرٌ ما فعلت، وجريرة ما ارتكبت، ونزوة عليها تُبْت. سأقصف قلمي،

وسأحرق قرطاسي،

وسأبيع كتبي،

وسأهجر أطيافي ولن تضبطينني يوما أخلو بأفكاري.

السرُّ العَمِيق

سيدتي..

أساءل نفسي:

ما الذي دعاها للتعلق بكِ عمن سواكِ؟

والشغفِ بكِ عن غيرك؟

والسباحةِ في خضم الهوى الذي ودَّعتُه زمنا طويلا؟

ما الذي أسرني فيك؟ وأغراني منك؟ وجذبني إليك؟

ألقدٍ جميل ممشوق قوامه؟

ألوجهٍ فتان جذابةٍ مقاطعه؟

ألعينين قاتلتين فتاكةٍ لواحظها؟

ألجسد ساحر آسر ملمسه؟

آهٍ ، ولكنها لا تعلم!

لا تعلم أنني أحتضنُ فيها آمالي وآلامي.

ألملم فيها شتات نفسي المبددة، وروحي الموزعة، وقلبي المشتت،

وفؤادي المتنازعِ عليه.

أستعيد فيها نفسي التي كانت، وفؤاديَ الذي ضل، وطموحيَ الذي ودعت.

أعانقُ فيها المستقبل، وأتصالحُ فيها مع الماضي.

أحتضنُ معها الأصلَ الذي لم تمسسه يد،

والبكارةَ التي لم يتطرقْ إليها فعل،

والفطرةَ التي لم تلوثْها مدنية.

فتاتي..

ما رأتكِ عيناي، وما لمستكِ يداي، وما عاقركِ حسي.. كلا كلا!

ما كان لجسدٍ أن يطلب؛ وهو مفتون.

وما كان لغريزةٍ أن تشتهى؛ وهي جوعى.

وما كانت النوازعُ لتجرؤ على لقياكِ بغيرِ محْرَمٍ من عِفة، وجليسٍ من طُهر، ورفيقٍ من تسامٍ.

بغير عيون قلبي ما أبصرتُك، وبغير ذاتي ما لمستُك.

سيدتي..

إن الحب عذبٌ مذاقه،

طروبٌ نغمه،

شجيٌ مطلبه،

آمنٌ سربه،

وصَّالٌ طريقه.

سيدتي:

هل تعلمين أن أروع شعور في الدنيا ما يعيشه قلبان،

وأن أفضل رحلةٍ نحو الغايةِ المنشودةِ ما يقطعها طائران.

إن أفضل ما في الحب سرُه المكنون،

وغموضُه الممتزج،

ولطافتُه الخفية..

فإن أذعتَ له سرا،

وأعلنتَ له خفيا،

وكشفتَ منه مستترا،

وجهرتَ بما منه توارى؛

عرضته لخطر محدقٍ، وكارثةٍ محققة، وزلزالٍ أكيد.

سيدتي..

أروع ما في الحب أنه شعور بين اثنين قرارُه،
وشوق تدفقت من بين الصخور ينابيعُه،
ورؤىً شاعرة تسامت عند النجوم معانيها،
وأحلامٌ عند الفجر طارت نسماتها.

إتّصال

بعد خمسٍ تذكرت أني راسلتها لمرات عديدة،

بعد خمس رن فيها هاتفي مئات المرات،

وفي كل مرة وقع قلبي فريسة بين أمل وألم، أملَ أن تكون أقالت عثرتها وحيَّدَتْ مشاعرها فكلمتني، وألم يصيب القلب حين يكتشف أن المتحدث غيرها.

مرات ومرات يتجدد فيها أمل ويخبو، حتى فقد القلب أملا كان فيه.. لكنها أخيرا تكلمت.

هأ هأ، تقول فتاتي أنني راسلتها أود محادثتها في أمر يتعلق بطبيعة العمل لا يصح تأجيله، وأمر يحتاج لبتٍّ لا ينبغي تأخيره، لكنها استيقظت بعد الخمس تتذكر أن عليها مهمة وواجب.

أين كانت أيامك الخمس؟

أما زال القلب يحزنه الأمل، ويكسوه الوجل، ويصاحبه الأسى، ويستقر في أعماقه الحزن الدفين؟

هل لا تستطيع عزل مشاعرها فتتصرف بمنطق الواجب في الوقت

الذي تتنفس فيه مشاعرها صوت العاطفة؟

ربما معذورة، ربما كانت تلك مشاعرها، ربما كانت التجربة أعمق من أن تنسيها خمس سنوات لا خمسة أيام، ربما كنتُ أحتاج منها إلى تربية يستطيل زمنها إلى أبعد من ذلك دهرا إلا أنها آثرت ألا تعاقبني بأكثر من ذلك.

ربما كانت تلك نصيحةُ بعضُ صويحباتها يلمنها على فعلٍ كان من السهل معالجته بغير الهجر.

حِرتُ كثيرا: هل أرد؟

رغم أني بت ألقن نفسي مِرارا، وأعلمها تكرارا بألا ترد: يجب أن تنتصر لنفسك مرة، يجب أن ترد كرامتك المسلوبة، ودمك المهدور.. لا ترد، إياك أن ترد.

ألا يحق لك أن تبكي عليها؟

ألا يستحسن بك أن تثأر لكرامتها؟

كيف تستجديها لمرات فيزيدك تعنتها مذلة على مذلة؟

كيف تسترحمها مشاعرك التي تبثها إليها على بُعد فتأنف أن تجيبك ولو بكلمة.. كلمة تُشعرك أنها سمعت ما قلت، أو حتى قرأت ما كتبت.

هل هو حب انتقام منك على صنيع فعلته؟

هل هي السلوى عِوضا عما كان يمكن أن تفعله؟

هل كانت تحتاج إلى وقت أطول لأن تسترد عافيتها من تجربة أشدَ من أن تتحملها مشاعر امرأة أحبت؟

هل رافقتها ظروف قاسية عوَّقت صوتها المحبوس من أن ترتفع نبضاته إليك؟

هل صدمتْ أخبارُك دائرة صويحباتها فأحست معهن بحرج شديد كان منطق الرد عليه قطع علاقة دامت جذورها في الأرض زمنا؟ هل كان آلامها أشد، وجراحها أحد، ونزيفها أوفر، وأنينها أطول من أن يتحمله قرب من كان السبب، فآثرت أن تبتعد عنه بالقدر الذي يخلص قلبها منه!

وأخيرا أجبتَ.

وأخيرا لم تنتصر لذاتك، وأخيرا دفنتَ مشاعرك، وحيَّدت بقدَرٍ عاطفتك، وغلَّبت العقل على العاطفة، والعموم على الخصوص. وأبقيت لنفسك حسرةً تلازمها ولن تذهب على مهل.

تحاول أن تسترجع بذهنك ما كان لكن ذاكرتك تعجز أن تكتشف من أين ابتدأ الخلل؟ وكيف كان الزلل؟

وما الذي توصلتم إليه بعد الذي عشتم فيه؟

إلى متى سيدي ستظل على هذا النحو؟

حدد هدفك منها تنجو.

ثبت قواعدك نحوها تفلح.

ارسم خارطة طريقك تسلم.

وهل معنى هذا أنك حتى الآن لا تعلم؟ لا لا الآن قد علمت.

الآن رست أفكارك بعد رحلة سفر.

الآن جثت مشاعرك بعد فترة تأمل، الآن وصلت إلى برٍ كنت ترتجيه زمنا فحطت آمالك عليه، واستسلمت قلاعك له.

صراع

أمور كثيرة كنت أطمع أن يحلها، ويفك طلاسمها لقاء اليوم. علامات تعجب زادها لقائي اليوم تعجبا.

حالة من الحيرة والتخبط لم يستطع لقائي اليوم بها أن يخفف من حدتها.

حالة من الصراع تزداد وتيرتها يوما بعد يوم.

لم يستطع قلبي وحده أن يحسم المعركة لصالحه.

لو كان الأمر يحتاج فصلا بين الحب واللاحب لكان القلب كفيلا بأن يقول كلمته، ويولي ظهره من عداه، لكن الأمر زواج أبدي، وارتباط دائم، ومسئوليات تُتحمل، ومهام تنجز، وصعاب تواجه، فإما أن يكون الشريكين عونا على المشاكل، أو تنجح المشكلات في تفريقهما.

ولكنها لا تعلم!

لا تعلم أنني أحتضن فيها آمالي وآلامي.

ألملم فيها شتاتي المبدد،

وروحي الموزعة،

وقلبي المشتت،

وفؤادي المتنازع عليه.

أحتضن فيها نفسي التي كانت،

وفؤادي الذي ضل،

وطموحي الذي ودعته.

أعانق فيها المستقبل، وأتصالح فيها مع الماضي.

أحتضن معها الأصل الذي لم تمسسه يد، والبكارة التي لم يتطرق إليها فعل، والفطرة التي لم تلوثها مدنية

فتاتي..

ما رأتك عيناي، وما لمستك يداي، وما عاقرك حسي.. كلا كلا!

ما كان لجسد أن يطلب؛ وهو مفتون. وما كانت لغريزة أن تشتهى؛ وهي جوعى. وما كانت النوازع لتجرؤ على لقياك بغير محْرَم من عفة. وجليس من طُهر.

بغير عيون قلبي ما أبصرتك، وبغير ذاتي ما لمستك.

من الثريا إلى الثرى

عاجز عن التفكير. حتى الآن لا أستطيع أن أتصور ماذا حصل. هل من المعقول أن تنتهي علاقتي بها بهذه السرعة غير المتخيلة. لابد بأنني أحلم، لا لا أكيد أنا سكران، إنه الهذيان بعينه، إنه الترنح الذي يُذهب الوعي، أو به يذهب الوعي

من يخبرني، من يوقظني؟

سيدتي هل حقا كان حمْلا لم يكتمل؟ هل أردناه مولودا جميل الخلقة، بهي الطلعة فأبي القدر إلا أن يكون مشوها، مبتسر النمو، ذاهب الملامح.

إن الذي بت أرويه بات الزمن يظمئه، وإن الذي كنت أرسمه، أبى الزمن إلا أن يطمسه. أقدرانا وما منها مفر، آمالنا وآلام عششت في المستقر، وحنين ينزع نحو المنى، وما بقي منه أشتات وفِكَرْ.

في مثل هذا اليوم

في مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضي كان افتراقنا، ومن قبله بأيام كان لقيانا.

تجربة قصيرة العمر بمقياس الزمن، ممتدة الخبرة بمعيار المشاعر. تجربة مست من القلب عواطفه، وحركت في عميق اللب أفكاره، وضربت في أعماق الأرض جذورها. وحلقت في آفاق السماء فروعها. تجربة امتدت طولا، واستطالت عرضا، وتسامقت ارتفاعا، فهي زاخرة بمعيار الخبرة، عامرة بمعيار الشعور، عميقة بمعيار الفكر.

غسَّلته بيميني

اليوم مات.. غسلته بيميني، كفَّنته بيداي، آويته إلى فراش أبدي حتى تقوم له قيامه. لن ينبض بحب بعد اليوم، كفاه جرح عميق أدماه، وأنين حاد أفزعه. ما كنت أحسبً أن بهذا القلب قسوةً تصل إلى الحد الذي يخدش من يحب، ويوخز من يهوي، ويطعن من يعشق، ويقتل من به تعلق.

سيدتي بغير نعي أشيعه، وبلا مشيعين أودعه، عله في مجاهل الزمن يتعلم، عله في الدروب الموحشة ينتبه، عله يرجع يوما، أما أنا فراحل إلى الأبد.

كنت أتمنى أن أوفيك حقا أنتِ أحق به، وحبا أنت أهل له، كنت أود أن أستريح بين يديك، وأن ألقِي بحملي عليك.. لكنما ذاب واندثر، ومحا أنينه بقايا الأثر، وخلّفت أحداثه المرارة والمرر.

عفوا سيدتي لستُ من تقصدين

جاءني عبر الهاتف صوتها، كنت متلهفا عليه، منتظرا له، تواقا إليه. كنت أستشعر كمن فقد شيئا يألفه، كمن غاب عنه شيء يعرفه. كان صوتها بالنسبة لي دفئا يلملم برودة كياني، شريانا يحمل الحياة إليَّ. كانت كلماتها الطوال على مدار الأيام السابقة تحملني كموج يسافر بي إلى عوالم مسحورة ممتعة جذابة، لم يحدث في حياتي أبدا أن أكلم فتاتي ما يقرب من ساعات خمس، ما هذا الأنس بمن أحدِّث، ما هذا الولَهْ بمن أكلم، كيف يمكن لهذا الصوت الدفييء أن يسكب في داخلي هذا الكم من الألفة، والفرحة، والشوق، والشغف المتواصل نحو التحليق، إنه صوت يمس أوتار القلب، وتلتقي فيه أشتات النفس الموزعة، وتأتلف فيه المتعاكسات المتضادة، تنسجم فيه نفسك مع نفسك، وقلبك مع من يحب، وروحك مع من تهوى.

كانت كل مكالمة نتجاذب أطراف حديثها؛ أشبه بمنطقة نستصلحها، وأرض بكر نستزرعها، ثم نستوطن فيها أمال لم نفض بكارتها.

آه فتاتي، آه مما كنت أخشاه

كان أصعب شيء على نفسي، وأشده ألما، وأعمقه مرارة، من أن

أصحو يوما، وأستيقظ فجأة فأجد القطيعة بعد الوصل، والهجران بعد الألفة، والفقدان بعد الوجد.

أذكر يوم أن استحلفتها يوما فقلت لها:" عديني بألا تتركيني ما حييتِ. إياك أن ينقطع وصلك بي".

ما كنت أتخيل الدنيا بدونها، والحياة بغيرها.

ما كنت أخشاها على نفسي، بل كنت أخشى نفسي عليها.

لكن لم؟

إنني ما زلت أومن إيمانا لا شك فيه، ولا تريب معه أن الحب كلٌ لا يتجزأ. عطاء دائم لا ينقص.

كنت أريد أن أكون لها حبيبا متيما، أبا شفوقا، أمًّا حنونا، طفلا مدللا، عبدا طيعا. كنت أريدها ملكة متوجة على عرش القلب تملكه، وسيدة لقصر فؤاد صارت من قريب تستوطنه، وآسرة لجسد يحمل ضعفها، ويقوي عجزها، ويكون رصيدا دائما لها.

آه من فتاتي التي صارحتني- ولها الحق فيما تقول- باهتزاز صورتي أمامها، وتغير فكرتها عني، كانت كمن وخزني فآلمني، وطعنني فقتلني، ومحا صورتي من مخيلته فنسيني، لم أستطع أن أتحمل، وكيف لقلب أن يتحمل قسوة المحب به، وقتله إياه.

فتاتي وسيدتي

أعلم أنه لك الحق فيما تقولين، وألتمس لك العذر فيما تقررين.. نعم نعم ربما لم أكن قويا بما يكفي لاتخاذ قرار تنتظريه، والبتُّ في أمر قد بِتِّ دوما ترقُبيه..

سيدتي قد يكون في قراري حياة لك وموت لسواك، قد يكون في قراري حرية لك وسجن أبدي لغيرك، قد يكون في قراري سعادة لقوم وشقاء لآخرين.

هل كنت ضعيفا يوم اتخذت قرارا بمصارحة من أحب عمن أحب؟!!

هل كنت ضعيفا يوم اتخذت قرارا بحب من ربما تلومني الدنيا لأجل حبه؟!

هل كنت ضعيفا يوم وهبتك قلبي، وفرغت لك مكانا في ذهني، وأبحتك كل وقتي وشغلي؟!

هل كنت ضعيفا يوم أن قررت أن أمنحك شرف أن تكوني أميرتي، وآمرتي؟!!

هل كنت ضعيفا مهزوزا يوم أن صارحتك بأن هذه العاطفة القوية

الدفاقة ليست هي الصداقة بل هي الحب الدفين

أعلم جيدا أن هذا كله لا يكفيك، إنما يكفيك قربا لا بُعد فيه، وأنسا لا وحشة معه، ولقيا لا تفرق بعدها، ووصلا لا هجران بعده إلا كما تعلمين.

أعلم بأنك تبحثين عمن يلملم حلم السنين، ويداوي الغربة والأنين، ويعالج حَرَّ الظن ببرد اليقين.

أعلم بأنك تنتظرين، تنتظرينني. يناجيني طيفك منذ زمن بعيد، وتنادي علي أحلامك في الليل الحزين. صدقيني أسمعك بوضوح، أنصت إليك بتمعن.

صدقيني تناجيك روحي

وتمتزج معك أطيافي،

وتغرد في جناتك بلابلي،

وتهتف باسمك مدامعي،

وتسافر إليك عبر الموج البعيد أناتي،

وتتلهف لأن تذوب في أحضانك ذراتي.

سيدتي..

قلت لك مرارا أخاف عليك من نفسي، أتدرين كيف؟

أخاف أن تتعلقي بمن ربما يوما ستفقديه

أخاف أن ترتبطي بمن ربما لم تسعفه مشاغله من أن يوفيك حقا هو لك.

أخاف أن تسبحي في خضم ربما تجف يوما مياهه

أخاف من أن تحلقي في سماء ربما تعكر صفوها الغيوم

أخاف من أن نستيقظ على حقيقة ربما لا تألفيها، وواقع ربما ترفضيه

أخاف مني عليك، أخاف من بعضي على كلك، أخاف من شغلي لفراغك، أخاف من قسوتي لرقتك، ومن غلظتي لرهافتك، ومن صمتي لشدوك.

سيدتي ربما كانت كلماتي في آخر عهدي بحديثك قسوة تخنق، وسياطا تلسع، وضجيجا يُئن.

يقينا سيدتي كانت كلماتي أشبه بأحكام قاض أطلق أحكاما بعضها يسجن، وبعضها يميت. لكن سيدتي لم تكن أبداً أحكاما نهائية؛ بل قابلة للطعن عليها، والنقض فيها. أتذكرين يوم قلت لك بأنني سوف أختار هذه المرة حكم العقل، وأنتظر وقع الحكم على قلبي تأثيره. قلت لك بأنني سأغلِّظ الحد حول جدران الصداقة، سأحوطها بمانع خرساني أسمنتي الصلابة حتى لا أتعداها إلى غيرها. معنى هذا أنني أستبعد الحبيبة وأرتضي بالصديقة، حتى الصديقة تحرمينني منها؟!

ربما لن أستطع أن أوفيك حقك كزوجة، ربما أضعف عن اتخاذ قرار يحييك ويسعدني.

رسائلُ إليها

بعد طول انتظار جاءني من غير هاتفها صوتها، كنت أستشعر أني عما قريب سأحدثها، رغم أن كل الشواهد باتت توحي بعكس ذلك. جاءني بارد مطمئن متزن صوتها، ألقت على السلام كاملا فرددته بنفس مطمئنة هادئ البال. أوحي إلي صوتها بأن حوار طويلا سنجريه. وبأن صلحا أكيدا بعد خصام سنعقده، وبأن فترة هادئة بعد تلاطم أمواج خصام سنعبرها.

بعد قليل طلبت منها فترة سماح قليلة حتى أتهيئا لحديثها بصوت جودته أنقى، وشبكة موجها أنفذ، وتواصلٍ مخارجه أصفى وأسمع.

كلمتها بعد قليل أطلب وصلا قد انقطع، وأرجوا حنينا قد يبس، وأبغي حياة قد توقف العمر عند أعتابها.

أملت علي شروطا بلغة من يرجوني تنفيذها، ويستحلفني بالله ألا أردها:

لا تهاتفني على منزلي ثانية - لا أذكر أنني كلمتها عليه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة - ما من مشكلة، لعل أمرا قد طرأ.

لا تهاتفني بعد اليوم ثانية، سواء في حديث خاص بنا، أو حتى في أمر

تقتضيه طبيعة مهمتنا.

لا تبعث إليّ برسائل بريدية إليكترونية أخرى.

لو قابلتني ذات مرة في لقاء ضمنا فليكن ما بين غيرنا هو الذي ما بيننا.

اجعل ما كان بيينا مادة للذكرى يضمها كتاب التاريخ ثم أخذت تسترسل في سرد أمور، ونقد غيرها، وتفسير بعضها. وأنا من هول الصدمة لا أسمع. فقدت تواصلي معها. لم أستطع أن أنطق ببنت شفة. هل أسترسل معها في تصحيح مسار لا أعرف حتى اللحظة ما جرى فيه فقطعه، هل ألومها على التسرع في إستصدار حكم من طرف واحد، هل أدافع عن نفسي، هل.. هل؟ ما الذي أفعله وقد أصدرتْ حكما لا نقض فيه. حكما قاطعا غير مشفوع بشفاعة.

أخذت أستشفعها بخاطري لديها، فلم تقبل.

أتوسل إليها بأعز من تحبه عندي، فلم ترض.

أترجاها بأغلى من تحب في الدنيا بعد فراقه، فلم تستجيب.

انتظري أرجوك، أمهليني بالله عليك، دعيني ألتقط أنفاسي، دعيني أستوعب ما يحدث، اتركيني برهة حتى تزول الصدمة، خذيني على مهل، أبلغيني برفق، مهِّدي لي بسابقة.. ألقت علي السلام وغادرت.

أرحلت بلا رجعة؟

أكانت نهاية محتومة بلا عودة؟

أموت هو بلا صحو؟

رحت في غيبوبة لم أستفق منها إلا بعد ساعات.

الظلام فوق السطوح يلفني، والبرد الشديد ينخر في عظامي، ورعدة قوية تهز فرائصي، وبركان داخلي يهدد كياني، وضعف عام يعتري بنياني.

الجسم مفصول عن عقله، والعقل أسير عاطفته، والعاطفة أشتات منفصلة. لم تستطع قدماي أن تحملني، أحاول أن أستقوي بهما فتضعف، أحاول أن أنتبه لنفسي فأفتر. غثيان كامل يدفعني لأن أخرج كل ما في أمعائي فلا أستطع. لا أستطيع أن أستغيث فكيف يمكن أن أفسر ما لا تفسير له عندي، وكيف أستغيث وليس في البيت غيرى؟

واهنة مفاصلي أشبه ما يكون بها، ضامرة عضلاتي كأني أنها، أول مرة أعذرها مما أصابها.

حاولت أن استحث نفسي على الحركة فلم تجب بغير الزحف أوصالي. وكأني رجعت بعد الفتوة عهدي القديم. وكأني بعد القوة طفل رضيع. وكأني لديغ سرى السم في شريانه، وكأني محموم لعبت الحمى بأوصاله، وكأني مخمور لعبت الخمرة برأسه وخلاياه.

رحت أزحف حتى وصلت سريري، فتحاملت عليه حتى بلغت قمته فألقيت نفسي بوهن عليه. الآن أنا في الظلام أتامل ما حدث، راح

قلبي الشفوق بها يتخيل حالها. وينظر من رواء ستار لها. أتراها حالها حالي أم أشد؟ أتراها مقتولة مثلي؟ أتراها راضية مطمئنة، أم مفزوعة مفجوعة؟ هل نحن السبب أم وقت الأسباب علينا؟ أنلوم أنفسنا على حب طاهر ذقنا عذوبته؟ أنقتل أنفسنا كمدا على تجربة لم يكن لنا يد فيها؟ ولا بد منها؟

آه آه آه ظلت أنفاسي تتلاحق، وجسدي يرتعد، ونفسي يختنق، وصدري يضيق، حتى لفني الموت.

رسالةٌ إليك

سيدتي ربما لا يعنيك هذا الكلام معرفته، ولكن أجدني مدفوع بالرغبة في البوْح لك، والكلام إليك.

ربما لا تريدين السماع، ولا ترغبين في القراءة، أتيقن جيدا أنك ما زلت تنزفين كما أنزف، وترتعدين كما أرتعد، يضيق الصدر، ويتقطع القلب، وتجسم الكآبة على الفؤاد، ويتوقف فعل العقل.

يختنق النَّفَس، وتتحشرج الروح في حلقومها، لكنها على كل حال ليست هي النهاية المميتة؛ وإن كانت هي بحق الخاتمة المؤلمة المفجعة لتجربة صادقة الشعور، صافية الود، عميقة الحب، راقية المعنى، عذبة التناول، نبيلة الهدف، محمودة الغاية، سليمة المقصد، شريفة الوسيلة.

سيدتي لكن اسمحي لي، إن لم تسمعينني كمحب، فأنصتي إلى كصديق، وإن فقدتِ فيّ بقية الشريك، فلأكن أنا الرفيق.

سيدتي صدقيني إن قلت لك أن تاريخ هذا اليوم محفور في ذاكرتي، مقرون بخيالي، لن أنساه أبدا.

وكيف أنساه وهو نقطة من نقاط التمفصل في حياتي، ومرحلة من مراحل التحول في رحلة عمري. إنني من اليوم أبدأ مرحلة جديدة،

أعدك أن هذا القلب سيطلق من اليوم عاطفته فلن يحب بعدك أحدا. أعدك بأن تكوني خاتمة النساء لدى، آخرتهن عندي.

سيدتي اليوم سيلجم العقل قلبه، وسيوجه الفكر عاطفته، وسيقود الذهن شعوره. من اليوم يسبق العقل القلب ويوجهه، ويرسم له طريقا يسلكه. وخطة يطبقها.

يجب أن أتحلل من بقايا العاطفة، وأتحرر من ربقة الهوى، وأستعيد من اليوم عافيتي، يجب أن أنسى أنه كان يوما ما ينبض، سألقنه درسا لن ينساه، سأحوله من مادة حيوية للدراسة، إلى مادة شيقة للتأريخ. سأقول له كفاك قلبا ناعما كنت، صافيا عشت، وديعا تنعمت، شفوقا تألقت، مشوقا تمردت، حيا.. فمت.

كفاك أن تكون للذكرى وما ضر الذكرى أن كانت وحيا لا ينسى، وكيانا لا يموت، أمَّا أن تكون حاضرا يعي، وأملا يفي، وشوقا ينبض، كلا لن تكون.

سيدتي أشد ما يؤلمني أنني لم أكن لك، ولكن عزائك فيَّ أنني لن أكن لغيرك.

فإذا لم يعش قلبي لك أعدك بأنني لن أملّكه سواك.

حديثي الأخير إليك

ربما يكن هذا هو حديثي الأخير لديك، إن لم تعقبيه بالرد منك. وهو حديثٌ عقلاً لا قلب فيه، فكراً لا عاطفة معه. حديث أَخْتطُه وأنا مشفق على نفسي منه، مرتاب مما قد يكون في غده. لأنه ليس أبدا من السهل على قلب صادق أن تقتاته تجربة حب فتقتله، فلا تبقي فيه إلا أشلاء ممزقة وزعها الحب كل في مكان.

الأستاذة الفاضلة لا يصح منْطِقا، ولا عُرفا، أن يبتدأ اثنان علاقة ما مشاركة واتفاقا، ثم يقم أحد الطرفين بفضها دون إبلاغ الطرف الآخر بحيثيات الفض، ومبررات الترك.

كانت تقتضي الضرورة أن ننهي سويا ما قد بدأنا معا. وأن يستمع كلانا للآخر استماع المنصت له. فإن ظهر لنا أمرا كان مجهولا علمناه، أو شيئا كان متروكا وجدناه، أو علة كانت غائبة فضضنا سرها، أو شبهة تيقناها، أو خطئا عمدا رددناه، أو طريقا خاطئا سلكناه فعدلناه، أو منقوصا فأكملناه، أو غير ذلك مما قد يصيب أي علاقة بشرية بين اثنين كان الحب منشؤها، والعفة طريقة، والغاية المحمودة مبتغاها ومنتهاها. سيدتي ولما تبين لهما الأمر، ووضحت لهما الطريقة كان عليهما كما اتفقا قلبا على البداية، أن يتفقا عقلا على النهاية.

أمَّا أن تقررين من تلقاء نفسك نقض بناء وضعنا أساسه، ونقد أداء ربما أخطأ بعضنا فيه، فهذا ما لا أتحمله منك، ولا أقبله بطبيعة الأمر فيك.

أنت تعلمين أنني كنت أصدق رجل في عاطفتي إليك، كنت صادق التجربة، صريح التعبير عنها. لم أكن لأرضى إلا أن تكون "هي الحرفين". لم أكن ساعتها، ولا كنت بعدها أهوج التصرف، بل كنت أعبر بصراحة عما أحسه، وأتكلم بوضوح عما أستشعره، لم يكن ليعنيني بعد ذلك أمر.

صدقيني أحسست بإهانة بالغة، وبجُرح دام وأنا أستجديك أن تسمعين، وأستحلفك بأن تنصتين، وأكاد أذهب نفسي كمدا عليك أن تبقيني منك قربا وأنت آمرة ناهية، أبية عصية، وكأن صرخاتي لديك سمفونية عذبة تسمعين، وكأن أناتي شدوا بالغ الطرب تستحسنين، وكأنني لم أكن قلبا لديك تعشقين، أو صاحبا ترافقين، أو حتى مخلوقا عليه تشفقين.

لم أستشعر إهانة يوم أحنيت ظهري، وأملت للتراب رأسي، وألبستك ما تعلمين؛ بل كنت ساعتها أستشعر فرحة لا تعادلها فرحة، فرحة من وجد النصف الذي يكمله، والرفيق الذي يؤنسه، والخل الذي يواسيه، والحبيب الذي يسعده.

فرحة من نظر إلى محبوبه فرآه نفسه، ونظر إلى نفسه فرآها كل محبوبه. تمازجتا أشتاتا فصارا كلا واحدا، أيأنف بعدها ممن يحب؟ أيستحي ممن

يهوى؟ أيخجل ممن به قوام حياته؟

حتى لما تكرر الاستجداء ولما تردي قلت ساعتها "إذا عز أخوك فَهُن"، ليس بين المحبين من كرامة؛ إذ الكرامة بين متغايرين موقعها ليس بين الذوات تواجدها. مثلها مثل الخجل، إذ لا يخجل من عورته عريان إذا تكشف وحده غسلا أن يغتسل، إذ حياؤه فطره فيه، وإن كان خجله لغيره.

لم أتألم ساعتها لأن المرأة عزها في أنها مطلوبة، وبأن طالبها يكد عناء البحث عنها وهي تتمنع، ويتلظي طلبا لها وهي تتدلل. لم أحزن ساعتها وأنت تتمنعين رفضا، وتغلقين أبواب الحديث إليك تدللا حسبته. بل ربما كان من المتعة لك أن أطلبك وأنت ترفضين، أن أستجديك وأنت تمتنعين، أن أعاملك معاملة الخادم سيدته، والعبد مليكته.

ما ضرك لو أشعرتها بذلك وهي تستحقه، لو عاملتها بما هي أهله، إن ذلك حق لها والغيد تهواه، إن ذلك واجب علي والشاعر برهف يملكه.

لكن سيدتي ما عدت أحتمل صدا لا دخل لي فيه، ولا أطيق ثقلا بلا ذنب فعلته، كفاني كفاني، دعيني أنتصر لكرامة أهدرتها، وأحتفظ ببقية شرف في حبكم أضعته.

سيدتي أستحلك من أي وعد قطعته، وأستسمحك من كل أمل رجوته.

فلتقر عينيك بهذا الفراق إن كان هذا مطلبكم، ولتسترح نفسك بالبيْن إن كان فيه راحتكم. أما أنا فسأستعذب الألم، وسأستريح بالتعب.

سيدتي راحل بلا عودة، راحل إلى الأبد، واسمحي لي أن استبقي منك ذكرى استودعها آمالا كبارا عَلِّي يوما أستجمع همتي وصولا إليها.

حب الشخص أم الإيمان بالفكرة

ما زلت أسائل نفسي محاولا البحث عن إجابة ترضيني وتفسر حقيقة أمري.

لماذا أريد الزواج منها والارتباط بها؟

أهو حب الشخص أم الإيمان بالفكرة والمبدأ؟

ما الذي يدفعني لأن أرتبط بقية عمري بمن لا تقدر على خدمة نفسها فضلا عن خدمتي؟

ما الذي يدفعني لأن أرتبط بشخص لن يحمل ثقلي بل ربما حملته؟ ما الذي يدفعني لمواجهة مجتمع كامل اشترط دوما في جميع اختياراته ختم رضا المجتمع لصحة نفاذ قضاياه؟

وأخيرا ما الذي يدفعني لأن أصدم أحب الناس إلى باختيار هو بالنسبة إليهم كارثة يحاورن في توصيفها، فكرة الزواج والزواج من فتاة معاقة؟

أحاول أن أستخرج ما في بؤرة نفسي وأن أضعه على طاوله المناقشة، وفي حيز التفكير؟

إن الفكرة التي ليس لها قرار في نفس صاحبها، وإن العاطفة التي لا تتمثل فكرا في تصوره، أبدا لن ترقى لأن تعيش وسط الأحياء. وإن كتبت لها ساعات من العيش فهي حياة مبتوتة الأمل، منزوعة الرجاء يعالجها الموت من كل جانب.

كنت من أيام قلائل أساءل نفسي ما الذي دفعني لحبها؟ والآن أسائلها ما الذي يدفعها للارتباط بها؟

إن فكرة الحب أساسها التعلق، فكلما كنت أكثر تعلقا كنت أكثر حبا. فكرة الحب تبني على ارتباط وثيق، وتعلق لصيق بمن أحبه قلبك، وهوته مشاعرك، وسافر إليه فؤادك. أما فكرة الزواج فهي تحتاج إلى أكثر من العاطفة وإن تعمق عند الحبيب معناها، وتحتاج إلى ما هو أعمق من الحب وإن تبدى في سلوكياته. إنها تحتاج بجوار العاطفة إلى الفكرة، فإذا امتزجت الفكرة بالعاطفة تحتاج إلى حسن تجربة وممارسة.

إن لم يكن حبا فماذا

لست أعرف لماذا تحاول سيدتي أن تُعَنْوِن ما بيننا على أنه شيء آخر غير الحب؟ وأقول لها سيدتي: إن لم يكن حبًا فماذا يكون؟

بعيدا سيدتي عما تقتنعين به على مستوى الفكر، وعما جربناه وتراوغين فيه نفسك على مستوى العاطفة، تعالِيْ بنا نحاول له تفسيرا.

هل هو إحساس أم شعور؟

أيتها (الحبيبة) هل تعلمين أن الحس قد ينفصل عن الشعور فيكونا ضدان. أحدهما براني، والآخر جواني. أحدهما مادي محسوس، والآخر عاطفة مجردة. أحدهما خادع كما تخدع الحواس كثيرا صاحبها، والآخر صادق كما يصدق القلب كثير صاحبه. أحدهما موطنه القلب، والآخر عمله الحواس. أحدهما متغير لحظي وقتي، والآخر له من الثبات ديمومة واتساق وانتظام.

هل تعلمين أنهما ربما لا يكونا ضدين بل يكون الحس مقدمة الشعور، فإما يغلب الحس الشعور فيسيِّره، وإما يطغى الشعور على الإحساس فَيُرقيه ويسمق به. ولأي تكون الغلبة تكن العلاقة بين الشخصين: إما حس لا شعور فيه؛ بلٍ غريزة وشهوة. وإما شعور لا حس فيه فيكون

حبا عذريا صادقا لا جسد فيه بل هو قلب وروح، ولعلك تعلمين أن العرب كانت تقول: أشد يفسد الحب وطء المحبوب. وإما أن يكون سيدتي حسا مختلطا بشعور، ولأيهما الغلبة كانت تلك العلاقة.

سيدتي وأظنك الآن متيقنة تمام اليقين أن علاقتنا كانت عاطفة لا حس فيها، وشعورا دائما لا نزوة له. ومن هنا سيدتي أعجب من قولك أنك معوقة الحركة، ضامرة العضلات، بل إنني أكاد أشك أنني أكتشف لأول مرة كونك من ذوي الإعاقة حتى ذكرتيني بها. لأنني لم أضع في الحسبان مرة ما جسدك فيه. ولعلني تذكرت الآنِ والآن فقط تَغزُلي فيك، ووصفى الجميل لك، وتذكرت لم الآن وأنا أُسْمِعْك أولى كلماتي المكتوبة وأنت تتجاهلين شطرها الأول المتغزل فيك وتنعتينه بأنه إطراء يجانب الحقيقة. ساعتها لم أعلق ولم أذكر لمَ لمْ أعلق على ما قلتِ. الآن عرفت، عرفت أن نظرتي إليك ذاك التي كانت غزلا حسيا فيك كنت أراه بقلبي حقيقة – وما زلت أراه – ولم يكن تجملا. لم يكن إطراءً أغازل به أذنيك، ولم يكن شعرا به أغني عليك. بل هي الحقيقة التي عايشتُها ورأيتُها وأحبها. سيدتي ولعلك – والآنَ تذكرتُ – حسبتُ أن وصفا طلبتُ منكِ عن حالك في البيت طبخا، وحركة، ومعاشا أنني أسائلك من باب تعللي؟، أو حتى تضجري ثم تعسفي في الحكم عليك إعاقة وحركة؟ لا سيدتي وإنما جُل معشوق المحب معايشته في أدق تفصيلاته خاصة إن كان تعارفه عليه، من بيئة مغايرة له.

سيدتي آن الأوان أن تعترفي بأنه كان شعورا لا حسا، عاطفة لا غريزة.

ولعلك تقولين: نعم أسُلِّم لك بأنه عاطفة وشعورا، لكن سمِّه إعجابا لا حبا. تحننا لا تشوقا. شفقة ربما لكنه ليس هوىً وعاطفة.

ورغم أن إجابتك تستفز بقايا الغضب منك فيَّ، إلا أنني آسف سأجيب ذكاءك المفرط. سيدتي الفرق بين الإعجاب والحب أن الأول ربما كان بوابة الثاني ومفتاحه، فالإعجاب مقدمة الحب، فبالضرورة لا يحب المرء أحد يكرهه، وهذا هو نقطة التماس بينهما. أما عن الفرق بينهما، فإن الإعجاب لا يعدو إلا ن يكون وقتيا لحظيا حتى ولو استمر شهورا، ثم يتحول الإعجاب إما إلى عاطفة وحبا إذ امتزج بالقلب وحده، أو يتحول إلى إجلال واحترام وتقدير إذا مر على العقل فسمَّاه وأقره. فالإعجاب بوابة يتفرع داخلها يمنة فيكون حبا، أو يسرة فيكون إجلالا وتوقيرا.

أما أن تقولين بأنه من باب التحنن. فأجيبك بأن كل حب هو بالضرورة حنانا، وليس في كل حنان بالضرورة حب. فالحنان بمن نحب هو بعض من ذلك الحب. فالحنان عَرَضٌ للحب ومظهر له، والحب سبب الحنان وعلته. وعليه فالحنان فرع لشجرة جذرها الحب، ولم يكن أبدا ما بيننا حنانا لا حب فيه. إذ لا يدفع الحنان صاحبه لأن يكن مندفعا (أهوجا) في التعبير عما يحسه ويعانيه. بل جملة القول في الحنان أن

فيه تمايزا بين من يتحنن (وهو غالبا أكثرهما عطاء ومنْحَا) ومن يُتحنن عليه (وهو أكثرهما قبولا وأخْذا). لكن سيدتي ربما تصدقين لو قلت إنه (حنينا) لا (حنانا). ففي الحنين معنى الذوبان فيمن تحب. ذوبان لا تحس فيه بالفرق بين ذرة وأخرى، بل تذوب ذرات المحبوب فيمن يحبه، كذوبات حبات السكر في المحلول الذي وضعت فيه، فصارت كلا واحدا لا تمايز فيه. ومن هنا فالتعبير عنه بـ (الحنين) أوقع وأبلغ.

أما أن يفسر حب الشخص (غير المعاق) بالمعاق من باب الشفقة. فهذا رغم أنني أتقزز من الإجابة عليه، وآنف من التحدث فيه، إلا أن الرد بواحدة أبلغ من التعدد. إن جُل ما يرجوا المشْفِق أن يمنح المشْفَق عليه (شيئا) به يستقيم بعض أمره، وقد يتكرر المنح لكنه في كل حال يعطيه أخْذُ يده، يعطيه بعضه، وربما جاد عليه أكثر فأعطاه ومنحه أكثر ما يعْطَى، لكنه أبدا لا يمكن أن يعطيه قلبه فيسكنه، ولا أن يُوقِف عليه حاله فيدخُلَه، أو كيانه فيسلبه، ولا أن يضحي له بذاته فيمتلكها. إن حد عطاء المشْفِق أن يعطي من كسْب يمينه، وبعضا من بقية شعوره، أما أن يهب المُشَفَق عليه كله فلا.

سيدتي أبعد هذا كله تقولين أنه لم يكن حبا. وكأنك تستكثرين على نفسك أن تكوني معشوقة؟ وكأنك تعوقين ذاتك أن تكن محبوبة؟ وكأنك لا تعلمين عمقُ ما فيك فجذبني، ولا حلاوة ما تملكين فأسرني، ولا سموك الرفيع فهالني، ولا قلبك الرهيف فملكني، ولا صوتك

العذوب فشدني، ولا حس الدعابة فيك فأمَّلني، ولا ألمعية عقلك فراق لي، ولا – وأقول لك– ملمس يديك الناعمتين فأيقظت بركاني، ولا وأقول لك– جسمك البض المثير فبلغني نبضه ومحادثته.

سيدتي إنك مطلوبة وأنا الطالب، إنك معشوقة وأنا العاشق، إنك مبتغاة وأنا الراغب، إنك محبوبة وأنا المحب الوَلِه الصب الحيران.

سيدتي سَمِّهِ حبا ولا تفكيري الآن ما نهاية طريقه. سَمِّهِ حبا وجنبيه التفكير في العاقبة. سَمِّهِ ولا تتعجلي كما تعجلت قبْلا فأفسدت موارده، سَمِّهِ حبا وعايشيه فإما يكن محبوبك لك أبدا فتسعدي وتُسعديه، أو يفرِّق القدر بينكما فتكن لقلبك ذكراه تنير له الليل الحزين. سيدتي إنشغالك بتسمية ما بيننا وتأطيره عجَّل بنهايته. صحيح أن الحب التزام، لكن لو أنك أبقيت على هذا الحب زمنا حتى تضاعف تياره، وزاد تدفقه لاكتسح كل الأوشاب التي قابلته ولجرفها من طريقه فبقي واختفت، لكنك أصررت ألا يكون الحب سر بيننا فأذعتيه، فألذمتك إذاعته له بالتعجل عليه، فتم وأدته من بدايته.

سيدتي حاولي التفكير فيما أقول. راجعي نفسك فيما أحدِّث، وليكن بيننا ثمة حديث إذا أردت. فإني مشتاق إليه، متلهف عليه، على أي نحو تطلبين، وعلى أي تصنيف بيننا ترغبين.

الزمن الذي لا يداوي الجراح

يقولون أن الزمن يداوي الجراح. يقصدون بذلك أنه كلما تقادم الجرح كلما خف ألمه. ولكن لماذا كلما تقادم جرحي، عظم ألمي، واشتد وخزي، وثقل حملي.

إن مثلي وجرحها والزمن، كالمصر على الذنب فعله، كلما مر يومه ثقل حمله، فرق ظهره، ووهن عظمه، وأوشكت أن تأتيه خاتمته.

إن مثلي وجرحها كالنازف من حادث أصابه، كلما مرت عليه الثواني؛ زادت الخطورة على حياته.

آه يقتلني مر الزمن، يبدد أملي تطاول الدهر. يسحق جرحي كبرياء لا يقاوم، وصلف لا يقارن، وتيه واختيال وزهو وتمرد، يستعصي على المعالجة. ولكن وما أدراك أنه كذلك؟ هل هو حقا كذلك؟ أمقتولة مثلي ترجوا الحياة؟! أمأسورة ترجوا الحرية؟! أمسلوبة الإرادة تبغي النجاة؟! أضعيفة تتطلب القوة؟! أمريضة تريد العلاج؟!

من فينا قتل الآخر؟ من فينا ظلم رفيقه؟ من فينا كان السبب فيما أصابنا؟ من فينا حجب النور عن شريكه؟ من فينا ابتدأ وكيف انتهينا؟

هل كنا نحن السبب؟ أم وقعت علينا الأسباب؟ نحن أم سوانا؟

هل تعجلنا فأخطأنا؟ هل تسرعنا فتعثرنا؟

هل كانت فرحتنا أكثر مما ينبغي فأورثنا الزمان حزنا أكثر مما نتحمل؟

هل كانت خيالاتنا أكثر مما نتوقع، فكان الواقع أشد علينا مما نحلم؟

هل أضحى الحب خطيئة في زمن صار الفعل القبيح فيه حبا؟

هل تعجلنا قطاف ما كان ينبغي علينا انتظاره ثماره على مهل؟

هل أذعنا سرا وجب علينا في البداية كتمانه؟

هل وأدنا وليدا كان النور انتظاره؟

هل أجهضنا جنينا كانت تقتضي الضرورة بالحفاظ عليه؟

... وماذا بعد؟ هل تلك هي خاتمة المطاف؟ ونهاية الرحلة؟ وآخر المشوار.

طلبنا الحب فطارت حتى مع الحب الصداقة!!

أردنا الزواج، فما كان، وما بقيت حتى الرفقة!!

أردنا أنفسنا، فما أرادتنا أنفسنا؟

أردنا كلانا سويا في طريق، فما بقينا وما بقي الطريق.

إنه ذلك الحب

لم أكتب منذ فترة كبيرة عن الحب ...!

هل لأن ينابيعه جفت في سويداء قلبي؟

أم أن معانيه السامية جمدت في كيان فؤادي؟

أم أن نار اشتعاله خبت في جنبات روحي؟

أم ترى أنني تعاليت على نفسي خداعا حين قلت لها لابد أن أعيش بلا حب؟

وهيهات لنفس أن تعيش بلا حب ينير طريق حياتها، ويهديها إلى شواطئ الأمل والرجاء.

يا له من معنى عظيم.. بل يا له من معنى عذبٌ رقيق.. حروف يسيرة جمعت بين طياتها آمال وآلام البشر!

إنه الحب نادى قلوب البشر، دق على أبواب أفئدتهم، وما أحوجني الآن إلى لمسة من ذلك الحب تمس شغاف قلبي، تهدهد آفاق نفسي، يسمو بها شعوري، تحرك كوامن عاطفتي..

ما أحوجني إلى ما ينير دربي، وويستهدي قلبي، ويبرق في جنبات

روحي.

أيها القلب حلِّق في سماء الحب أبداً، غرِّد في رياض الحب دوما. اعزف ألحانك، فك طلاسم الكون من حولك، فما الكون إلا قالب كبير يحتويه قلب أكبر. وما الروح إلا رقراق ندى شفاف يحلق في سماواتٍ أرحب يحمل السعادة لكل البشر.

اكتشاف

حبيبتي..

لا أحبُ أن يمر هذا اليوم دون أن يمسه قلمي بحديث، أو أن يلوكه فمي بتخاطب، أو أن تبحث في أغواره مشاعري، أو أن يهيم فيه بالخيال عقلي، أو أن تسبحَ في بحار لذته أحاسيسي.

.. إنه ذلك اليومُ الذي لن ينسى، وهذه اللحظةُ التي لن تغيب عن الوجدان أبد الدهر..

إنها اللحظةُ التي يكشف لي فيها القدرُ عن ألذِ أديمٍ تمسُه الأيدي، وتعانقه الروح، وتستهويه النفس..

إنها اللحظةُ التي ينكشف فيها النقابُ عن ألذ مرغوبٍ وأحلى مشتهىً، وأفضلِ معشوقٍ، وأمتعِ ما يُسمتع به.

إنها اللحظةُ الحبيبة إلى قلبي، القريبةُ إلى نفسي التي تكشفين لي فيها عن ذلك السرِ المدفون، والمعنى الغامض، والطلسمِ المعقود.. تكشفين في ستر، وتوضَحين في غطاء، وتظهرين في حياء، وَتبدين في عفة عن أحلى ما فيك لأحب الناس إليك، وأقربِهم لديك، وأحناهم عليك، وأرأفِهم بك.. ومن هو لك.

إنها اللحظةُ التي تتسامْين فيها فوق السماء، وتتعالْين فيها عند الجوزاء، وترتقين فيها عند قمةِ الجبل، وترتفعين فيها عند الملك.. إذ ترغِّبين فيك أحب الناس إليك بحنان، وتجذبينه إليك في تلطف، وتأسرينه إليك في ترقق، وتعلقين قلبَه بك في وداعة.

لن أنسى أبدا تلك القبلةَ التي طبعتها في رقة على هذا المرمر الحريري الناعم، وذلك الفراء الأثير الدافئ الذي صنعته يد القدرة في تفرد .

لن أنسى ذلك المنظر الذي تجلى في إباء، وتبدى في شموخ، وظهر في عزة لهذا الجبين الذي يحمل التلطف مع العزة، ويزهو بالطلب مع الكرامة، ويتحدث بالرغبة في تعفف

حبيبتي وملاكي.. روحي وسمائي.. بلسمي وشفائي، أنت لي، أنت وليس غيرَك، أنت وليس سواك من النساء.

ما كنت أعلم أنك بهذا الجمال، ما كنت أعلم أنك بهذا الحسن، ما كنت أعلم بأنك بهذه الفتنة الطاغية.. وإذا كان هذا بعضا من كل، وغيضا من فيض، فيا ترى ماذا بالكل حتى أهيمَ فيه.

يا لهذه اللحظة، ويا لهذه الثواني التي يجب أن نحتفل بها، نعم يجب أن نحتفل بها.. وأن نحتفل أيضا بهذا الخمار الذي أدى دوره إلى النهاية:

شكرا لك أيها الخمار.. شكرا لك، اليوم حبيبتي أحب إلى منك، أقرب إلى منك، أشهى لي عنك.. دورك محمود إلى النهاية ولن ننساه

العلاج

لم تعيني الحيل حتى أعالجك.

ولم تنفذ لدي الوسائل حتى أبحث عما فيك، وإنما أتركك ونفسك كي تعالجين، فإن العلاج من النفس للنفس أوقع، والدواء من الذات للذات أنفع وأنجع.

.. وحين تتعبك الحيل، وتعجز عندك الوسائل.. فإن لي حينئذ تصرف، ولكن ابدءي بنفسك مع نفسك فإن في ذلك النفع إن شاء الله.

شكر

إن اللسان لينعقد عن كلمة شكر.

وإن الألفاظ لتعجز عن كلمة مدح.

وإن القلم ليوقفه كلمات الثناء.

ولكن تبقى خفقة القلب، ونبضة الروح.. شاهدة تلقي بالتهنئة التي عجز عن قولها اللسان، وانعقدت بغيرها الجوارح.

كل تهنئة غير تهاني الروح لا تفيد.

وكل مدح غير ثناء القلب لا ينفع.

كفى قلبي وجوارحي ثم روحي نطقت بها مرارا قبل أن ينطق بها اللسان (ألف مبروك).

هذا كلام الروح، أما ما يقوله اللسان فليس المقام مقام.. لكنه كما تعرفين!

مَـرَحْ

بأي نظرة تراها استقبلت كلماتي؟

أبنظره حزن، أم أنه الألم؟

حييَّة هي، أم تراه الوجل؟

.. ولم هذه النظرة؟

شارة الذهن، غارقة النفس، مكفهرة المنظر، عابسة الوجه، متجهمة الأسارير

.. لم كل هذا؟

لست أدري، لعلها لم تتعود المرح ممن هم مثلي، والدعابة ممن هم في مكانتي ومنزلتي، فقابلت ذلك كله باستغرابٍ مستنكَر، وتعجبٍ مذهول، وتألمٍ مبالغ فيه.

سيدتي ..

إن ما يحمله قلبي من فرحة لا يمكن أن تظهر على حقيقتها إلا أمامك.

ولا يكمن لطفولتي الكامنة إلا أن تعلن عن نفسها في حضورك.

فدعينني دعيني، دعيني أمرح وسط رياحينك، أهنأ بين أزهارك.. ألهو معك، لهو البريء جاذبته الصور، وأخذت بتلابيب عقله المناظر.

إن المرح مع من نحب،

والدعابة مع من نهوى..

يخفف من أحمال أثقالنا،

ويداوي جراحاتنا، ويبهج أنفسنا، وينقلنا من واقع مرير قاسيةٌ أحداثه، إلى حالة من السكينة والطمأنينة وراحة البال.

ألا فلينعم كل واحد بمن يحب قبل أن تفجؤنا الحياة بما نكره.

رسالة إلى غائب قريب

انتظرت مراسلتك لي كثيرا.. ولكن دون جدوى.

فلما طال الزمن، وتمددت حبات الوقت، واتسعت هوة الهجران.. تبدد الأمل، وانطفأ الرجاء، وعصفت ببراعم الوصل رياح القطيعة، فتركتها في ذبول، وأمسى ما كان حيا؛ يشرف على الموت السريع، والهلاك المحقق.

وبينما الحال كذلك، إذ ببريق يلوح من بعيد، ووميض يشرق من جديد، لتكون أول رسائلي إليك، فتصل ما انقطع، وتجبر ما انكسر.

.. فلعل رسائلي إليك لا تنقطع، ولعل رسالاتك إليّ لا تخطئ الطريق، والسلام.

تناقض

تلحظ فيها تناقضا غريبا،

وتباينا غامضا،

لا يكشفه إلا بصير قلب، وعميق بصر، وذو حظ من التجارب.

فما يبدو لك منها يوحي ظاهره بترف لا فقر فيه،

وسعادة لا بؤس معها،

ونعيم لا يمازجه شقاء،

وثراء لا يخالطه كدح.

ممشوقة القوام إلى حد الرهافة،

رقيقة إلى حد الكسر،

فاتنة إلى حد السحر،

متفردة إلى حد الإعجاز،

بريئة كما الطفولة،

عينيها الزرقاوين كما الموج،

نظراتها كالمراكب المتنقلة،

تنضح أنوثة إلى حد الطغيان،

وتتسامق جمالا إلى حد القداسة.

تحار في رؤيتها حيْرة المضطرب،

ويعجزك وصفها عجز من هربت فكرته وبقيت عبرته.

فأنت أمامها واحد من اثنين لا ثالث لهما:

إما أن تغلبك فحولتك فتنظر إليها كذكر، فترى ظاهرا مفتونا تغرق في ضحالته. وإما أن تبصرها روحك فتحلق في سماوات ذاتٍ يعجزك اتساعها.

حين تتخلص من براثن الجسد، وجاذبية الأرض، وثقلة الطين، وقيود الشهوة، وإلحاح الغريزة، حينئذ؛ وحينها وفقط، تستطيع أن تبصر فيها غير ما أبصرت عيناك، وأن تتسمع من دقيق مشاعرها غير ما نقلت إليك أذناك، وأن تتحسس منها غير ما لا يمكن أن تلمسه يداك.

إنها غير ما رأيت، ونقيض ما سمعت.

نضارتها يَبَسْ مقيم،

وخضرة ظاهرها جفاف موغل،

وحيويتها الظاهرة خمود أنفاس.

هذا الجسد المرفه أدمته القروح،

وهذا الإهاب الغض تملؤه الندوب،

وهذا الوجه البراق تسكن وجناته الآلام،

وهذه النفس الرقراقة عجنت طينتها أشكال المعاناة.

وحينئذ تراها إنسانة قبل أن تبصرها أنثى، وتتضح لك ذات قبل أن تبهجك منها محاسن الصفات. ولحظتها تخلع ثوب عذريتك، وتطرح عنك رداء جسدك، فلا ترى منها غير روح معذب، وأطلال خاوية، وأشتات مبعثرة، ومعاناة مستديمة، وسيل عبرات لا ينقطع.

إنها من فاقت تضحياتها كل حد، وبلغ تحمله حدا فاق الحد، وكان صبرها مضربا للصبر.

أنَّاتُ قَلْبٍ مُرْهَفٍ

تلحظ فيها تناقضا غريبا، وتباينا غامضا، لا يكشفه إلا بصير قلب، وعميق بصر، وذو حظ من التجارُب. فما يبدو لك منها يوحي ظاهرُه بترف لا فقر فيه، وسعادةٍ لا بؤس معها، ونعيمٍ لا يمازجه شقاء، وثراءٍ لا يخالطه كدْح.

ممشوقةُ القوام إلى حد الرهافة، رقيقةٌ إلى حد الكسر، فاتنة إلى حد السحر، متفردة إلى حد الإعجاز، بريئة كما الطفولة، عيناها الزرقاوان كما الموج، نظراتُها كالمراكب المتنقلة، تنضح أنوثةً إلى حد الطغيان، وتتسامق جمالا إلى حد القداسة.

تحار في رؤيتها حيْرة المضطرب، ويعجزُك وصفُها عجز من هربت فكرته وبقيت عبرته. فأنت أمامَها واحد من اثنين لا ثالث لهما: إما أن تغلَبَك فحولتُك فتنظر إليها كذكر، فترى ظاهرا مفتونا تغرق في ضحالته. وإما أن تبصرَها روحُك فتحلقَ في سماواتِ ذاتٍ يُعْجِزْك اتساعها. حين تتخلصُ من براثن الجسد، وجاذبيةِ الأرض، وثُقلةِ الطين، وقيودِ الشهوة، وإلحاح الغريزة، حينئذ؛ وحينها وفقط، تستطيعُ أن تبصر فيها غير ما أبصرت عيناك، وأن تتسمع من دقيق مشاعرها غير ما نقلتْ إليك أذناك، وأن تتحسس منها ما لا يمكن أن تلمسه يداك.

إنها غيرُ ما رأيت، ونقيضُ ما سمعت. نضارتُها يَبَسْ مقيم، وخضرة ظاهرها جفاف موغل، وحيويتها الظاهرة خمود أنفاس.

هذا الجسد المرَفَّهُ أدمته القروح، وهذا الإهابُ الغضُ تملؤه الندوب، وهذا الوجه البراق تسكن وجنتيهِ الآلام، وهذه النفس الرقراقة عَجَنت طينتُها أشكالَ المعاناة.

وحينئذ تراها إنسانةً قبل أن تبصرَها أنثى، وتتضح لك ذاتا قبل أن تبهَجك منها محاسنُ الصفات. ولحظتَها تخلع ثوب عذريتِك، وتطرح عنك رداء جسدِك، فلا ترى منها غيرَ روح معذب، وأطلالٍ خاوية، وأشتاتٍ مبعثرة، ومعاناةٍ مستديمة، وسيل عَبرات لًا ينقطع.

إنها من فاقت تضحياتها كل حد، وبلغ تحملُها حدا فاق الحد، وكان صبرُها مضربا للصبر.

أشد ما أبكاني، وهدهد قلبي، وأسال مدامعي، وحز في نفسي،

وآلمني إلى حدِ النُواح، وعذبني إلى حد الصياح..

أن أتخيل ما قالتَه، أو أتصور ما ساقته.

أمعقول هذا ...؟

أمتخيل ذاك ...؟

أمعقول أن يكون أحنُ مكان في الدنيا، هو أكثرَه قسوة!

وآمن ركن في الوجود، أكثرَه فزعا وهلعا!

وأكثرُ ما يجلبُ السكينة، هو مكمن الفزعِ والرهبة!

والمهرب من كل ما يخيف، هو أكثرَ ما يُخاف!

والمتنفس من كل ألم، هو أكثرَ ما يؤلم

أمعقول أن يكون حضن من أحب، هو وكرُ الأفاعي

أمعقول أن يكون سرير راحتي، هو سرُ عذابي!

أمعقول أن تكون مملكتي -غرفةُ نومي - هي محبسي وسجني!

أمعقول أن يكون.. من ينبغي أن أحبَه، هو عينُ من أبغضه!

أمعقول أن يكون حبيبي، عدوي!

ومعشوقي، مكمنَ كراهيتي!

وسلواني، هو سرُ عذابي!

أمعقول أن تختلط اللذةُ بالألم، إلى الدرجة التي تقتلني لذتُه، بدلا من أن تحيِيَنِي لمساته!

أمعقول هذا ....

أيتها السماوات، أيتها الكائنات،

أيها الكون الفسيح، أيها الفؤاد الطريح،

أيتها الروح المعذبة، والنفس الشاردة....

آه ، وآه.. ثم آه آه

أمعقول ألا تصفوَ لي حتى أكثرُ لحظاتِ الأم سعادة، تلك اللحظةُ التي يلامس قلبُها قلبَ وليدها في احتضان... حتى هذه اللحظة، تمازُجني فيها بعض أنفاسه، وخليط من ذرات ولده، وقليل من بقايا هيئته.

أمعقول أن تكونَ أسعدُ لحظاتي، هي من تحيلني بدون وعي إلى أسوأ هنيهاتي!

أبذل الجهد الجهيد كي أخلِّص ذراتي من ذراته فما أستطيع

أبدد طاقتي كي أحرر نفسي من ذكرياتها، فما أقدر

لم يعد لي قلبٌ يتحمل

لم تعد لي بقايا تتحمل

لم تعد فيَ ذرات تتجمل

لم يعد فيّ كيان يتأمل

لم تعد فيّ أيةُ روح تتعقل

طيوري المحلِّقة، صارت داجنة

غصوني الوارفة، ذبلت أوراقُها

جسدي الناضر، جفت خلاياه

حيويةُ مشاعري، جمدَت كما الصخر

انطلاقةُ عواطفي، قيدها الخوفُ، وأمسكتها الرهبة.

آه من مرِ الأفكار، وتلاحقِ المعاني، وتواردِ الذكريات

ألا ليت شعري هل يقف الزمن عند حد الصبا؟!

وهل تتوقف الذكريات عند حد الطفولة؟!

من يأخذُ مني ثوبَ الشيخوخة المبكر، فأهبَ له روحي وقلبي، وفؤادي وكياني.

من يستطيعُ أن يستل خنجر يقينه، فيذبحَ به كبش ظنوني

من يستطيعُ أن يسكن آلام ذبيحتي، بنصل سكينته

من يستطيع أن يحملني مني، إليه؛ بل مني إليّ.

من يستطيع أن يمسح حبر كراساتي المؤلمة، ويقتطع من كتاب العمر صفحاته القاتمة

من يستطيعُ أن يبيعني عمرا بعمر، وثوبا بثوب.

من يستطيعُ أن يسمع آهاتِ صدري، دون أن تلفِظَها شفتاي

وأن يتعرف على ما يحزُ في كياني، حتى ولو لم تبده عيناي

وأن يتلمس ما يغمرني أنينه، من وهَج أنفاسي المحرقة
وأن يوقف سيل عبراتي المغرقة
وأن يحمل مراكبي من مَرفأ الذكريات، إلى شطوط الأمنيات
من منكم يطلقُ أمنياتي الحبيسة
من يطلقُ الطيورَ من أوكارها فتطلب رزق الصباح
من منكم يغمرني به فأنساني
من منكم يأخذني إليه.. فألقاني.
يحملني عني، يأسرني به فيحررني
من منكم الفارسُ المغوار فيقتلَ فيّ بقايا ذكريات ماضِيهْ الفاسدة
ويمسحَ عن جسدي، ما اختلط يوما فيه من أنفاسه الراكدة
من منكم يواسيني إلى حد الاحتضان
ويحتضنني إلى حد الذوبان
وتذوب فيه مشاعري، إلى حد التلاشي
ونختفي سويا في فضاء الكينونة الكبرى والسر العميق
من ينزعُ عنى غطائِي فأبصر، وحجب شهوتي فأستفيق
كلماتي أمنيات

أمنياتي عبرات

عبراتي بذور نامية

وجذوري معاقد خير كامنة

وفروعِي تلامس السماء

وأغصاني وارفة ظلالها

وثماري طيب أُكُلُها، لذيذ ذوقُها

يا من ترغبون في قلب، أكلته المعاناة، وأرهقته الآلام..

.. حتى هذا لن أعطيَكم إياه، ولن أمنحَكم مبتغاه، إنه الجثةُ والجسم كفن.

إنه كنزي، لن أفرط فيه بعد اليوم، لن أمنحه شبيهَ رجل يسْحقُه، أو بعضُ ذكر يأسره.

لا ..

أنا لن أعود إلي ربقة الأسر، وباحة السجن، وشرفاتِ المحبس مهما بدت ألوانها مزركشة، وراياتها مبهجة، وأصوات نداءاتها يغمرها الحنين.

أنا من علمتُ قلبيَ أن يتحرر من إساره

وأن يخلع عن معصمه سوارَه

وأن يدق بقوة فوق قيوده فيكسرها،

وأن يلملم بقايا فؤادِه من أشتاتها.

إن قلبي أكبرُ من أن يسكنَه رجل

وإن حدود مشاعري أوسعُ من أن تحتويَها كلماتٌ معسولة

وإن يقيني من البَصَر، أعمقُ من أن تخدعَه ألفاظ براقة

احذر مني

احذر من فيض عواطفي المُغْرِق

احذر من لفحات أنفاسٍ تحْرِق

احذر مني، فإني لن ألين إليك، ولن أعود إليك، ولن يهفوَ قلبيِ بعدَ ذلك لك

قلبي الذي أوجعتَه لم يعد يخشى الألم

قلبي الذي مزقتَ ثوبه، تعود أن يعيش عاريا من شهوة رجل

روحي التي عذبتَها لن تعود إليك مهما استرحمتها

صحيح أنني أشتاق إلى أحضان من يلملمُني، بعد أن بعثرتني الرياح

وأن يجمع شتاتي، بعد أن فرقت ذراتُ قلبي تأوهاتٌ وصياح

صحيح صحيح

صحيح قد يصيبني نوْع من الحنين، لكنني سأقُتلُه

وكلما أتتني بوارقٌ من أمل جديد سأطفئه

سأنزعُ راياتي،

سأغلقُ شرفاتي،

سأوصدُ أبوابي،

سأخنقُ أنفاسي...

سأعيش برئة واحدة، أنتقى من هواء الكون ما يعجبني،

وأقتات من عزمي ويقيني.

هأنذا أكتشف نفسي من جديد، وأتعرف مشاعري من بكارة.

وأفتح للأمل نوافذَ يحملُني نسيمُها إلى حياة جديدة جديدة خضرتها حياة وحياة وحياة.

خَمْرُها أَسْكَرَتْنِي

يقولون أن شُرب المُدَام محرّم، وأن معاقرة الراح إثم، وأن مصاحبة الشراب غيْ.. نعم نعم.

فما بالُك إن سكرتَ بغير مُدام، وانتشيتَ بغير سُلاف، وذهب عقلُك بغير معاقرة شراب.

ما بال عقلُك ذاهبٌ غيرُ ممسِك بوعيه، وفؤادُك ذاهلٌ غيرُ منتبه لصحوهْ، وجسمك آخذٌ في التردي، وروحك مسلوبٌ تُنتزع منه بقايا حشاشته.

أحقا هذا الذي يحدث لك؟

آه آه ، ثم واهٍ .. واه

وجهها وجه فتاة، وجسمها جسم أنثى

تلاقت عندها السماء بنجمها الأزهر

والأرض بمائها الأغر

نار تحرق، وثلج يذيب

نور يضيء، وظلام يُضل

قلب أخضرٌ يأخذْك إلى رقة النسيم، وجسد هيَاج يقذفك إلى حمم الجحيم

روح وثّابة تتقافز بك إلى القمم، وغريزة أنثى تجرُّك نحو السفوح

تحار بأي عين تنظر إليها: بعين بصيرتك، أم بعيون رأسك؟

وبأي وحي تراسلُها: بشعورك أم حواسك؟

وبأي لسان تخاطبُها: خطاب روحك، أم دَفعات غرائزك؟

إنك مسلوبٌ لا محالة، مقتولٌ ولا شك، تائه في بحر عينيها بلا تأوُّل.

كيف الرجوع وقد رحلت؟

كيف الطريق وقد ضللت؟

كيف النجاة وقد هلكت؟

كيف التداوي وقد تملَّكتك العلة؟

كيف اليقين وقد أحاطت بك الظنون؟

كيف السبيل وقد حطمت شراعك، وأغرقت سفينتك، وعاكست ريحَ مسيرك، وتنكَّبت طريقك.

ما الذي فعلت يا رجل؟

هل تواجه الطوفان بغير السفين؟

هل تقطع المفاوز بغير الزاد؟

هل تخوض المعركة بغير العتاد؟

هل يواجه رجلا امرأة وقد نحَّى عقله، وأقال لُبَّه؟!

هل أفزعتك العينين الحائرتين فتهت؟

هل أزعجك الحنينُ الذائبُ فغويت؟

هل أضنى قلبُك الفؤادَ المعذَّبَ فضللت؟

هل أقلق فؤادُك دمعاتٌ حائرةُ فبكيت؟

أفِقْ.. أفِقْ

عُدْ.. عُدْ

تراجع.. تراجع

كفى عينيك سُهدا يُقلق

وقلبُك أنينا يزعج

وجسدُك ثُقْلا يؤلم

... لكن أنَّى للعقل أن ينسى وقد غوى

وكيف للقلب أن يسلو وقد صبا

وللفؤاد أن يودع وقد هوى

مُصَارَحَةٌ

بأي وجه تقابلُها وقد أفصحتَ عن مكنون عاطفتِك

بأيِّ يد تصافحهُا وقد أَبَنْتَ عن ضعفِك

بأي ثوبٍ تلقاها وقد نزعت عنك ثوبَك

بأي مهابة تلقاها وقد خلعتَ عنك بُرْدك

إن وجهَك يتساقطُ حياءً

وإن جبينَك يتصببُ عرقا

وإن قدرتَك تهتزُ ضعفا

وإن صورتَك لترتدُ خجلا

كيف تتخلى عن مقام المعلم وتصبح بعاطفة الفؤاد تلميذا

وكيف تخلع ثوب الإمارة وتضحى في حبها خادما وذليلا

صحيح أن قمة الضعف هو نقطةُ السيادة

وأن غُرة الاستعباد في الحب عفو وزيادة

وأن الأسر في الهوى حرية وقيادة ...لكنما هل تراهم يفهمون.. أو يعقلون

القَلبُ المُعنَّى

أن تنتظرها بشغف على أحر من الجمر، أن ترقب الثواني تمر بطيئة الخطو ثقيلة الحركة. أن تطالع المحمول كل ثانية على أمل أن تكون الرنة الآتية إليك تحمل رسالتها، أن يصيبك اليأس كل لحظة تفقد فيها الأمل في قدومها، أن يتملك الغضب مشاعرك لدرجة أن تتخيل نفسك تجذبها من منابت شعرها، وتصفعها على أم وجهها غيظا وحنقا، ثم تراك فجأة تتوسل لطيف خيالها في ترجي أن تعالى ولا تخش شيئًا. أن تتقلب في مشاعرك في لحظات ما بين الطفل الذي يبغي من يطِّيب خاطره، والرجل الذي يريد إنفاذ أوامره، والعبد الذي يقبل رأس سيدته.. فهذه لخبطة لا يعرف حالها إلا من أحب قلبه، وهفا فؤاده.

لقد آلمتني لدرجة أرهقت روحي

وأوجعتني لدرجة استصغرت كرامتي

وهنا السؤال:

هل هو بكاء المحب وأنينه؟

أم أنه بكاء الرجولة حالها؟

بالطبع ليست الثانية؛ وإن كانت بعضها.

حين ينطفأ الشوق ...

وترتد الصبابة ...

ويتهافت الصبا ...

فتلك حالة لا يقدر عليها القلب المعنَّى.

الفاتنـة

أخاذة المنظر،

متناسقة الشكل،

متماسكة البنية،

رشيقة القد،

فاتنة الوجه،

ملفوفة القوام،

صارخة المكونات،

وهاجة القسمات.

شعرها الحريري الناعم ينسدل على كتفين وثيرين،

صدرها الأبي النافر يتمرد على موضعه فيتأبي السكون أو القعود،

ذراعيها الملفوفتين فراء غالى الثمن.

جيدها سبيكة نفيسة الصنع.

نحرها عقد مرصع بالجواهر،

راحتيها كف طبيب لمساته تشفي،
جسدها الممشوق يزدان حلاوة،
وقدها الفتان ينطلي توهجا،
لباسها متعدد النوافذ؛
فنافذة تطل منها على أشجار الرمان المتورد
ونافذة تطل منها على موج البحر الهادر
ونافذة ترى في مرآتها عوالم السحر المغيَّر
وأخرى تطل منها ألعاب الصبيان والبنات
أما رائحتها.. فرياض أفنان ناضرة، فوق الرُّبى
مجالستها.. فرحة وحسرة.
فرحة اللقاء، وحسرة الفوت
مطالعتها.. سلام وصراع
النظر إليها.. تعبد وضلال
تأملها.. قداسة وكفر
انتظارها.. بكاء حرقة، ودموع فرح
البعد عنها.. أنين دائم الوخز

توقع قدومها.. فرحة صبي أطلت أمه من شبابيك السفر

توقعك مجالستها في حيرة لا مثيل لها،

واضطراب أعصاب لا حد له،

وارتعاد فرائص لا فكاك منه.

تضمكما غرفة ضيقة تتمدد حينا فترى مساحة من الفضاء والأفق

وتضيق أحيانا فتحس كأن روحك في النزع الأخير

أنت في مجالستها في صراع دائم لا يفتر، واضطراب لا ينتهي

بين غريزة تطلب وقلب يعف، بين حس يأخذك إلى سفالة الطين والوحل، وبين عاطفة سامقة تسمو بك عند الأفق. بين قلب يعشق، وحس يرغب بين الداعية الذي يزهد، وبين الشاعر الذي يتشبب.

وعينيك في حيرة شديدة.. تدوران في كل الجوانب قربا منها وبعدا عنها. فتارة يغلب عليها بصر يتفحص، وتارات تطبعها بصيرة تتأمل، وأنت في كل الحالات تتجنب مواجهة مع عينين براقتين لا تكفان عن الملاحقة والتتبع.

لفتاتها.. حديث

ونظراتها.. لغة

عطرها.. ثرثرة

وأدق تفاصيل فيها.. كلام هي لا تعرف الصمت أبدا، بل في صراخ دائم يأبى التوقف، أو السكون في كل مكان تصله يفجئك حديثها، وفي كل موطن تحل به يدهشك صوت حدثيها وكأنها تأبي إلا أن تقول لك: هانذا .. إياك أن تتخطاني، أو أن تتجاهل جمالي، أو أن يفوتك حسنى ولا يبهرك سحري.

يحاول جسدها أن يخاطبك بكل لغات الحس، وأن يقتحم عليك خلوة أفكارك بكل فنيات المراوغة.

تحاول بكل هذه البهرجة.. والزركشة.. وفضفضة الحواس أن تخاطب فيّ غرائزي فلا تستطيع.

يحاول جسدها الفتّان.. أن يصرفني عن تلمس حقيقة الروح فيها فلا يقدر

يحاول منظرها المثير عبثا أن يخاطب فحولتي فلا يجرؤ

يوحى منظرها بأنها مغرقة الأنوثة، خاوية العاطفة

مسهبة الحس، ضحلة الشعور

ذات رصيد مبهر في بنك النساء، نافذة الرصيد في بنك الملائكة.

أما عينيها، فأنت تحاول أن تغوص فيهما بحثا عن معنى يمكن أن تتلمسه، ودلالة يمكن أن تتبعها، وخيط شعور رقيق يقودك إلى كينونتها.

وها قد وصلتَ أخيرا إلى نظراتها، وتخلصت أخيرا من دروب الحس المغرق فيها.. ها هو درب ضيق، وسرداب متعرج يأخذك إلى النفس منها بعيدا عن الجسد. ها هي نظرة ضعف، وتلك نظرة انكسار، وأخرى تصطبغ بالأنين، ورابعة يملؤها الحيرة.

يا الله، إن هناك لغة هامسة خافتة، تبديها العين،

غير تلك اللغة الصاخبة التي يظهرها الجسد.

لغة لا ينتبه إليها إلا من استطاع الفكاك من جسده، وتحرر من غريزته. لغة تحاول إخفائها، وطميها، وسترها حتى لا تُظهر ضعفها، وتبدى ألمها.

تُرى ما سر هذا الحزن الدفين، والعاطفة الحيرى، والشعور المضطرب؟

تُرى ما الذي قر هذه العبرات الدامعة في مقلتيها؟

وهذه الزفرات المحرقة في أنفاسها؟

وهذا الأنين المغرق الذي يختفي خلف بسمة مصطنعة من السهل كشفها؟

يبدو - فيما أرى - أنها مرت بتجربة عميقة الألم، شديدة الوخز.

مفتاح قلب المرأة

ترى ما الذي ينقصها؟

المال؟ لا.. فهي الثرية مالا

الجمال؟ لا.. فقد أوتيت ناصيته واعتلت عرشه.

الأنوثة؟ لا.. فرداء الأنوثة قد فصَّلته لها ثوبا.

الذرية؟ لا.. فعندها البنات والولد.

الزوج؟ لا.. فقد ذاقت فحولته بما يغنيها عن الذُّكران.

الحماية؟ لا.. فما تستند إليه من قوة المكانة والأسرة يغنيها عن العَوَزْ.

المكانة؟ لا.. فما يشنف آذانها من المديح يغنيها عن قصائد الطرب.

إذن فما الذي تحتاجه؟

توهمك كلماتها بالغني، وحالتها بالشبع، وهيئتها بعدم الحاجة، وشكلها باعتلاء ناصية الرضى.

لكن ما تبوح به نظراتها، وما يستتر خلف مقلتيها، وما تستنبطه مما خفى من حالها ليوحي بالكثير.

وهل يمكن لمرأةٍ هذا حالها أن تصل للغني، والرضي، والقناعة والشبع دون أن تملك أمرين: إيمان يقيني قارٌ لا يفتر، وحب جارف فياض لا يضعف

إنها وإن ملكت الحس مقوماته، والغنى أسبابه، والأنوثة مفاتحها؛ فإنه لابد لها من أن تُحِب أو تُحَبْ. إن الحب مفتاح قلب المرأة النابض، وأساسه الفاعل، وحياته من الموت.. لكنها تماطل، وتغالط.

الصَّوتُ الأرقّ

سيظل صوتها هو الأرقّ..
وكأنك سكبت فيه أنْهُرا من العسل المصفى
وخلطته بماء الورود والرياحين.
ينساب في عذوبة، ويتدفق في ترفق
دفَّاق كالأنهر الجارية
عذوب كالينابيع الصافية
جذابة إلى حد الإغراق
أخّاذة إلى حد الفتنة
فاتنة إلى حد السحر
ساحرة إلى حد القداسة.
تأسرك وتُطلِقك
تميتك وتحييك
ترفعك وتخفِضك

كل ما فيها يجذب

كل ما فيها يأسر

توقُّف الأنفاس

حين تجْمُد كل الصورِ عند صورة واحدة.. واحدة وفقط.

حين تتعطلُ كل منافذ الحس عند لقطة واحدة

حين تبرُق العين

ويفغَر الفم

وتتوقف الأنفاس

ويعرق الجبين

وتتلاحق ضرباتُ القلب

وترتعد فرائص الجسد

وتراك.. تبصرُها هي فقط

تتخيلُها في كل منظر رأيتَه

ويستحضر ذهنُك كلَ مكان عايشتَه معها

ويتوقف الزمن بك معها، معها هي وفقط

حين تحولك العاطفةُ إلى صبي صغير، أو مجنون كبير ...فتلك هي الكارثة.

فتــاتي

يامن تعلق القلبُ بها صبابة

وشغف الفؤاد بها حبا

وهامت بها الروح عشقا

ما نساك القلب، كلا وما جفاك الفؤاد... لكنه القلم!!

نعم جثمت على الروحِ همومُها

وأطلت الآلام بحدها

وما عاد القلب يبصر طريقَه

ولا البصيرة تتبين خطاها

فمُدِّي إلينا يدا، وقوِّي لنا ظهرا، وشدي لنا عضدا، وصلينا بحبل الوداد دهرا، فما أجمل أن نستمد منك القوة لضعف، والقدرة لعجز، والطلاقة لعَيْ، والنور لغبش، والبسمة الضحوكة لحزن.

فتاتي

يحن إليك القلب

وتهواك النفس

ويأنس بك الفؤاد

حُـورِّيـةٌ

تقبل عليك فكأنما البدر أقبل.

وتبتسم لك فأنكما نجوم السماء تبث أنوارها على استحياء.

وتناجيك فكأنما الطيف يداعبك مداعبة تلتــذ لها وبها.

بيضاء كالثلج

خفيفة كمر النسيم

جذّابة كعرائس الحور

أخَّاذة كالروض

يبهجك حديثها وحضورها،

ويؤلمك فقدها وبُعدها.

أنيسة المسامرة

خفيفة المعاشرة

شهية التناول

عصية المنال.

يزيدك صمتها تساؤلا، وغموضها حيرة، وكلامها فرحة.

عينيها أشبه بمناجم الذهب؛ تزيدك معنىً كلما زدتها طلبا.

وتغوص بك حسبما مكنتك قدراتك من الغوص في أعماقها.

منبعٌ ومَصَب

حبيبتي

كثيرا ما أتساءل: هل لهذا الحبِ من نهاية؟

وكلما تساءلتُ عن نهايتِه ارتد صدى السؤالِ ليسألَني عن بدايته؟!

حبيبتي..

إذا صحت بدايةُ الحبِ فلا نهايةَ له.

وإذا استقامت أوائله؛ سلمت من الأعطاب أواخره.

إن الحب منبع ومصب

فإذا ما غـــزر الحبَ منبعُه، وتدفق بالغرام ينبوعه، وقوي باللطافة تياره، وتدافعت في مودة أمواجه..

فهل بعد كلِ هذا يجفُ الحبُ منبعُه أو يقلُ ماؤه؟

..لا وألفُ لا.

حبيبتي

إن الزمان ليزيدُ حبنَا توهجا، وإن الأحداث لتؤصلُه معانيا، وإن

تتابع الأيام ليعمقُ جذورَه في منابتها شيئا فشيئا.

إن مثلي وإياك في الحب كطائري غرام يسبحان في جو السماء تجذبُهما حدائقُ الأرض، وهما يؤثران لذة التحليق على متعة المُقام بين الحدائق؛ ولكن حبيبتي أما آن الأوانُ ليستقر بنا المقامُ للحظات في عش بين الحدائق مقامُه!

وكوخ صغير وسط الورود مكانُه!

أحسبني لا أبغي بمهنة التحليق وظيفةَ الحراسة.

ولا أرضى بديل الطيران تعلقا بالفراش الوثير

ولا أستبدل بلذة القنص عن طوى متعة الشبع عن كسل وبلادة.

أَخْفَى مِنَ السِّحْر

حبيبتي ..

أجدني مدفوع إليك بقوة غريبة لا أستطيع تفسيرها

قوة هي أخفى من السحر

وأحد من السيف

وأقوى من الجبل

وأحر من البركان

وأشد من الحديد

وأنفذ من الشعاع

وأسرع من البرق.

إنها قوة شديدة في لين

عنيفة في ترفق

حديدة في طراوة

متسارعة في هدوء.

قوة تزيدني بك تعلقا، وتأسرني في هواك تحننا، وتربطني بك تماسكا وتلاصقا.

فلا قوتها تصل إلى حد الذروة فتطغى

ولا شدتها تصل إلى النهاية فتضر

ولا حرارتها تبلغ العلا فتحرق

وإنما هي بين هذه وتلك، تؤثِّر بلا ضرر، وتحيي بلا موات.

الصوت الباهت

كان صوتُها باهتا لا لونَ له

ضئيلا لا حدَ له

منكرا لا مَعْلَمَ له

خافتا لا قوةَ فيه

رتيبا لا مرونة فيه.

يتسربُ من فمها على استحياءٍ وكأنه قطراتٌ من الماء تذوبُ وسط الحجارة المتعطشة..

تتساءلُ عنه في لهفةٍ يمازجها خوف؛ فلستُ أعرفُ أهو الخوفُ منه أمِ الخوفُ عليه؟

ولست أدري أهي اللهفةُ شوقاً إليه أم هي لوعةُ المعاناة من فراقه؟

تجتهدُ أذناي في أن تلتقطَ إشارات صوتِها الضعيفِ عن تعب.

ويجتهد قلبي في أن يلتقط نبضاتِ قلبِها المضطرب في قوة.

أحس بأن ثُقْلا شديدا تعجز عن حمله؛ فإذا هي تبحث عن كاهله

ليحمله عنها وفوق ذاك يحملُها.

ولست أدري أهو ثُقْل المادة الذي يُعجز الكواهلَ حملُه، أم ثُقْل المعاني الذي يؤرق القلبَ معالجتُه.

كان صوتها يهاتفني بينما قلبُها يسائلني في شغف: هل يحبني؟ إذن فلم عزوفه عني؟!

هل ترسخت جذورُ محبتي في تربه فؤاده؟ إذن فلم بُخْله بثمارها عني!

وبعد لحظات من حديثنا، إذ بصوتِها تدب فيه روحُ القوةِ من جديد.

ويعانقه تيارُ الوعي بعد الأفول، وتنساب فيه خفةُ السرور المبهج بعد المعاناة.

فإذا له لون مبهج كلون الخضرة، ومفرح كأشهى ما تكون الثمار النضرة. وكأنها كانت تستحلفني بالله أن أبلغه رسالة قلبها الحائر الذي يبثه الحنين في استحياء، ويناشده الهوى في تستر، إياك إياك فإن هواك روح الفؤاد وجودُه، وحبُك لنعمة الحياة أساس .

كفاني أن سُلبت ماضيّ عن قسر وهجران، أأفقد المستقبل عن فقد وسلون.

لعل اللهَ يجمع بك ماضيَّ الذي كان، بمستقبليَ الذي يكون.

أيُّ شيءٍ فيها يَجْذِب؟

إنك لتعجبُ أشدَ العجب، أيُ شيء فيها يجذبك، يأسرك؟ يأخذك في تياره، فتمضي هائمَ الوجه، حائرَ الوجهة، تغرق بين أمواجه، فلا تستطيعُ لها ردا، ولا صدا؟ وإنما أنت خائرُ العزم، واهن القوى، ممدد الجسم، وقلبك هنالك سابح في عوالمَ سحرية، أنهكتُه صورُها، ومزقته فتنتُها، وتوهته دروبُها.

– آه.. آه أفي عينيها يكون السر؟

– وماذا غيرَ عينيها يكون.

غورٌ بعيد قعره

بحرٌ هادئ موجه

مصباحٌ لامع ضوءه.

أحيانا ترى فيهما عمقا غير معهود، وصفاءً غير مختلِط، تُظهران لك السر، وتبديان لك المكنون، فترى باطنَها في ظاهرها، وتمسك بحقيقة مخبرها من سيماء ملامحها، فيتبدى لك أصلُ الفطرة، ولبُ الثمرة، فتتكَشفُ لك حينئذ روحا بلا جسد، وقلبا بلا بدن، فتمضي ترفعُ بُــرقعا وتضع آخر، فإذا هي جُملة من العواطف ركِّبت في امرأة، لا بل

امرأةٌ هي جملة العواطف.

نور ونار

فتور، ودفء، ولهيب

تصارعٌ، وتصافح

معاهدات سلم، ونُذُرُ حرب

.. يا له من عالمٍ ترى فيه كبرياءَ بلا تكبر

وزهوا في غير افتخار

وخضوعا في غير انكسار

ورِقةً في غير تميع

وخفةً في غير تخنث

ولطافة في غير تسيب.

عميق الألم الذي يجرحُك وخزُه

وحد المعاناة التي يذبحُك أنينه

ثم هاهو تماسك يعجزك سرُه، ويحيرك فهمه

ما هذا الضعف الذي لا قوة فيه؟

وما هذه القوةُ التي لا ضعف معها؟

ما هذا الهدوء الذي يقلقك سكونه؟

وما هذه الضجةُ التي تزعجك عواصفها؟

عالم من المتناقضات يأخذُك إلى حد التكامل

وتساوق لا ترى فيه غير التناقض.

آه .. آه من عينيها

ثم ها هي لمحةٌ أخرى، ونظرة مغايرة، تراها فيها وكأنها إنسانةٌ أخرى: عقلٌ لا قلب فيه، وفكر لا عاطفة معه، بريق يمتد شعاعه، وألمعيةٌ لا تعلم مداها. تلتقط السكنات والحركات

وتقرأ الرموزَ والإشارات

وتنقض على الأغوار والمبهمات

فتُبدي لك ما خفي

وتجلِّي لك ما غاب

وتفسر منك ما غمَض.

تلمحُ في عينيك ما لم تقلُه

وتقرأ في خريطة ذهنك كلَ فكرةٍ شاردة

وتوقفك على كل لمحةٍ عابرة.

تستترُ منها كي لا تراك فتبصرَك

وتمتنعُ عنها كي لا تلحظَك فتمسكَ بك.

وكأن النظرَ إليها ساحةُ حرب بين ذهنين: يُغِير هذا ويدفع ذاك.

مراوغة ومُضيّ

نفوذ ومقاومة

منازلة ومغامرة

فتظلُ تلاحُقك وتهربُ منها.

تجذبك وتندفعُ عنها.

ويظلُ التراسلُ بينكما إلى حد التسليم أو المصالحة.

إن الذكاء في حقها عيب

والألمعيةَ فيها نقيصة

وما ضرَّها لو كانت قلبا بلا عقل، وعاطفةً بغير فكر.

وكأن الخليقة أبت إلا أن تقرنَ هذا بذاك، وأن تُطعِّم هذه بتلك، ولو أنها كانت محمولةً على غير الأنوثة لأجزأت، ولو أنها ركِّبت في غير النساء لقادت وملكت وتربعت .

وآه.. آه من صوتِها:

ينسابُ بلا توقف

ويتدفقُ بغير انقطاع

رقيقٌ إلى حد الضعف

وقويٌ إلى حد المجاهرة.

وعذوبٌ إلى حد الشبع.

ورائقٌ إلى حد الشفافية.

عريضٌ بلا ضخامة

ومتسقٌ بلا رتابة

ومنغم بلا كُلْفَة.

يكسوه أغطية من العواطف تبايَن سَبكُها، وتفاوتت لزوجتُها، فحينا يبدو وكأنه مغرق في الدسامة إلى حد الشبع بلا تخمة.

وحينا يتبدى لك في عُري عما حمله، فستثيرك غريزة الجوع إلى حد الطلب، وهكذا يوقفُك بين الجوع والشبع، بين الزهادة والطلب، بين الرغبةِ فيه والرهبة منه. ولولا أن فيك ما يمنعُك عنه؛ لتركت نفسك في استسلام له. ولولا أنك تحبُ الجوعَ إلى حد التعبد؛ لألقيت بنفسك في تياره إلى حد الغرق.

آه من صوت تتلقاه بقلبك لا بأذنيك

وتتراسل معه بنبضك لا بلسانك

فالنبض أسرعُ من اللسان

والقلبُ أصفى من الأذن.

وكيف تتسمعُ الأذنُ ما لا يقدر على فهمه غيرُ القلب؟

وكيف يتواصلُ اللسانُ مع من لا يبلُغ بيانَه إلا الفؤاد!

آه، ولعلك بعد كل هذا ما زلتَ تسأل:

أيُّ شيء يعجُبك فيها؟

هل تعجبك صورتُك فيها، أم صورتُها فيك؟

.. أجب؟

هل صوتُها فيك أم صوتُك فيها؟

هل هو الشعورُ المغرق، أم الحسُ المقلق؟ إنهم لا يفهمون.

آه، وما تعلقت منها بغيرِ صورتي فيها، وما عبدتها بل عبدت نفسي فيها.

آآآآه، ومتى تراه فتؤمنَ به بعد كفر، وتبين من ذاتك بعد زنا، وتتحلل من نفسك بعد خطيئة

آه، ومازلت تعبدُ هواك، وتثني على تقواك، وتحبُ غير مولاك

تبتعد عنه وأنت قريب، وتسافر إليه وهو إليك أقرب.

عسى من يحب غيرَه يوما يحبُه.

ومن يشتاقُ لسواه لا يأنس إلا به.

وسقط عرش الجمال

وسقطت تلك النظرية وتصدعت أركانها في نفسي، وتبين لي خطؤها، وأنها ما كانت إلا خيالا لشخص هائم لا يدري عن دنيا المرأة شيء، لقد صارت وهما بلا حقيقة، وحقيقة بلا معالم، ومعالم زائفة لا يبنى عليها.

إنها نظريتي عن الجمال، ورؤيتي لما كنت أسميه " الجميلات النموذج " أو " الجميلات المثال ".

لقد كنت أحسب أن الجمال كمال لا نقص فيه؛

فإذا بعض الجمال نقص لا كمال فيه.

" الحسناوات لا يخطئن ".

يا لها من سذاجة لا تعقل كنت يوما أتصورها.

كانت الحسناء الغانية بالنسبة لي مثالا يحتذى، أنموذجا يحكي.

فمن غير المعقول أن يُتم الظاهر وتكتمل الخلقة ثم ينقص الخُلق!

أيعقل أن تخطئ الجميلات؟

أيتصور أن يسئ الجمال إلى نفسه بنزعة نقص، أو بلوثة قبح.. أنه محال؟ إنه لا يعقل..

إن الله كما أبدعهن حسنا؛ حفظهن صورة، وكما أبدعهن مظهرا كمَّلهن جوهر.

.. وهكذا نظرة الشاعر إلى الحسن والجمال، يحسب أن حقيقة الجمال الظاهري، يمتد بريقه ليصل إلى العمق بعد السطح، ويستمكن من الباطن كما استحكم من الظاهر.

.. والآن تبين لي بوضوح أن الشاعر كثيرا ما يخطئ

وأنه كالفراشة يسير خلف الجمال وفيه إحراقه

يطوي الزمن خلف أشعة من الحسن وفيه فتنته.

لكنني وبرغم تبين الأمر لي، ووضوحه لناظري.. إلا أنني ما زلت أبكي، وما زال دمع قلمي لا يجف

.. لم؟

ألرؤيتي الحسن وقد انغمس في قلب الطين؟

ألرؤيتي الجمال يتسفل وسط الخطيئة؟

ألرؤيتي العلياء السامقة وقد تدنت إلى منابع الفحش؟

أيعقل أن يكون الحسن هو نفسه سلم الرذيلة؟

أيعقل أن يسئ الجمال إلى عين نفسه بهذه الصورة؟

أيعقل أن يسفه الغنى فيضحى من سفاسف الأمور؟

أيعقل أن تسيء الخلقة إلى بارئها بتركها ما خلقت من أجله؟

.. نعم إن هذا ما يحدث.

لذا ما زلت أبكي، ولكن لم البكاء؟

هل هو بكاء الجمال؟

أم بكاء الشاعرية؟

أم أنها تحسرات الداعية؟

إن طبيعة الداعية في لا تختلف كثيرا عن طبيعة الشاعر،

فكلاهما يلتقي عند منقطة وسطي وهي عشقه للحق.

فبينما يراه الداعية معشوقا لذاته؛

يراه الشاعر معشوقا لكمال خصائصه وصفاته.

إن الذي يؤلمني في هذا كله إنما هو سقوط الجمال من عرشه الذي نصبته فيه، وكللته به.

إنني حين أبكي الجمال، أو أنفي عنه شبه الخطأ أو مظنة الاساءة؛ إنما كنت أنفي النقص الذي في نفسي قبل الواقع، وأنكر الشبهة التي في الواقع حفاظا على ما تراه نفسي..

إن ما يحزنني ليس تردي الجمال في عين نفسه؛ بل امتداده ليشق الجمال الذي أقمته في عين نفسي.

كان الجمال الذي أقمت عرشه في صدري لا يحتمل النقص، فإذا كل الجمال يحتمل النقص إذ لا كمال فيه.

.. فاصنع لنفسك ما تكمل به ما انتقص، وإلا فكل الجمال غير جميل صفات الله نقص.

اضبط مشاعرك

إنه لمن الصعب العسير على الشخص أن يحكم شعوره و أن يضبط عواطفه، لتثبت في وقت التهور، وتلين في لحظات الشدة، وتصير إلى الوداعة في وقت الجفاف ...

إن الشدائد كثيرا ما تقتات قلب صاحبها؛

فإذا استطاع ألا تأكله نجا.

وإن استطاع ألا تأكل قلبه الخطوب فقد سلم.

وإن استطاع إلا تلتهم شعوره الفتن فقد عوفي..

فاللهم لا تطعم الفتن قلوبنا

ولا تطعم الضلال يوما يقيننا

ولا تطعم الكفر لحظة أنفسنا

.. اللهم آمين.

بلا حدود

حد الحب العطاء.

وحد العطاء البذل.

وحد البذل التضحية

ولا حدود للتضحية؛ إلا الموت فيمن تحب.

..هكذا يجب أن تكون حياتي.

رحلة ترفيه

حبيبتي

أما فلتعلمي بأنها ليست رحلة للمتعة؛ فما يتمتع المشغول فكره.

وليست بقصد التسلية فما يتسلى من كان الله معه.

وليست للعبث فما ينشد العبث من أصابته جِدة الإيمان.

وإنما هي للتسرية عن النفس المكلومة من جروح أصابتها، وعلاج بالتفكر لذهن أصابه مس من الجنون.

إنها وقفة متأنية مع النفس: تقويم لما سبق، وتخطيط لما آت.

إنها محاولة استجمام لمن يعالج بالخروج عن المعركة جسده، بينما يصطرع قلبه فيها.

كما أنها ليست من قبيل من يطلبون المعلوم بالمجهول فيسافرون خلفه.. وما هو إلا سراب ووهم.

حبيبتي من الصعب جدا على نفسي أن أتركك خلفي في الأسر وحيدة بعد ما أطلقت يد القدرة سراحي منه.

ومن المرير على نفسي أن أخلفك بعدي تفكرين وتراودك هواتف

وجواذب عني وأني له أن " يستمتع ويتركك"؟

.. ولكنه لا يحس بمعنى الأسر إلا من ذاق مرارة الحبس.

ولا يشعر بضراوة القيد إلا من أثرت فيه سلاسلها.

لذا فلن يشعر بك سواي، ولن يعلم بما أنت فيه غيري.

ولكن حبيبتي أحسب أنك من القوة بحيث تزيدك الآلام صبرا.

ومن الشجاعة بحيث تزيدك الأهوال تجلدا.

ومن الحكمة بحيث تزيدك المواقف حنكة وإقداما.

ومن الترشد بحيث لا تستذلك الأمور، بل تزيدك هدوءا واتزانا.

حبيبتي..

لا ينفع مع السباقات المضنية إلا ذوو النَّفَسْ الطويل.

ولا ينفع مع المواجهات الحاسمة إلا متزن الفكر هادئ الطبع.

ولا ينجح في الامتحانات الصعبة إلا من يحسن التبسم لها مع حسن التخطيط لمواجهتها.

حبيبتي..

انتظري مني رسالتي القادمة:

حفنة من مياه البحر الزرقاء.

وبعضا من همس الطيور في أعشاشها.

ومزيجا من حديث الريح للريح.

ولحن دافئ من بديع صنع الأمواج للأمواج.

تحن إليكم أرواحنا.

وتشتاق إليكم قلوبنا.

.. والسلام.

معركتي مع العواطف

أما لهذه المعركة أن تنفض، أما لهذه الحرب الضروس أن تنتهي؟

إن معركتي مع العواطف ما زالت مستمرة، وما زالت تشتعل يوما عن يوم، ويتقد أوارها ساعة بعد ساعة، وأنا بينها أحترق من داخلي، أتلظى ألما، أختنق شعورا.

إن معركتي مع العاطفة الزائدة، والإحساس المفرط، والشعور الفياض داخل نفسي لم تنتهي بعد ولن تنتهي حتى يتحقق لي ما أريد، وأنال بها ما أصبو. إن معركتي مع نفسي لن تخمد أبد الحياة، كيف لا أرقب شعوري، كيف أغفل عن وجداني، كيف أترك نفسي تنساق مع نفسي.

إن مشاعري هي حياتي، وأي توجه في هذا الشعور في غير محله هو الموت بعينه، وأي عطاء لمن لا يستحق هو اختناق معه، وأه هَبَّة من إحساس غريب لا أعلمه، أو ومضة من شعور دخيل أجهله هو بمثابة الغزو القاتل لهذا الحصن المنيع الذي حرصت دوما على ألا يقتحم.

إن معركتي ليست مع (الحس) فلقد حماني الله منه زمنا، ولقد يسر لي وانتصرت عليه منذ زمن. كما أن معركتي ليست مع (الحس الممتزج

بالشعور) فقد تجاوزته أيضا. ولكن معركتي مع الشعور المتجرد، مع الشعور وفقط، ولك أن تقول إنني تجاوزت حد الشعور إلى عميق الشعور، إلى الشعور المتجذر خلف الشعور، ومعركتي الآن مع ما استقر داخلها، مع ما استمكن من ذاتها، مع ما تعلق في أساساتها .

معركتي مع الذات دون الصفات، فما أيسر أن تتعامل مع الصفات ولكنها المشقة أن تبحث في أصولها. معركتي مع الأصل دون الفرع، مع أساس البناء دون سقفه.

أما آن لي أن أنتصر؟

أما آن لي أن أجوز؟

أما آن لذاتي أن تحقق ثبات صفاتي؟

سيقولون إنها ليونة وعبث، وترف وفراغ، ولكنها أبد ليست من ذلك في شيء.

إنها جهاد نفس، إنها الحياة بعينها، إنها السعادة التي تنالها مع الألم، إنها الحياة التي تراها مخلصا من موت العاطفة بالرذيلة والقبح.

إنها قمة الراحة التي تنالها مع قمة التعب.

يا إلهي..

ما وهبت شعوري لغيرك

وما منحت نفسي لسواك

وما ناجى سري غير ذاتك

ولا قصدت نفسي إلا أنت

ولا اتجهت روحي إلا لقبلتك .

.. فأنت إلهي فاطرها، وأنت بارئها، فمنك نستمد العون، ومن قوتك نأخذ للضعف، ومن ذاتك يكون الحول والطول، ومنك لا غيرك نستمد العزة.

فأعزنا اللهم بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك، وخذنا منا إليك، وأقدمنا بك عليك، وارفعنا من ذواتنا إلى ذاتك العليا... يا رب.. يا الله.

نارُ الحبِ ونُورُهْ

"...": هل يزداد الحب مع الحرمان؟

هل يشتعل لهيبه مع البعد؟

رغم أننا جربناه في البعد؛ فإن نار القرب فيه أشد، وإن لوعه الفقد فيه مع التداني أحز وأحد.

حبيبتي..

كلما ازددت بعدا عنك أضناني الهجر

وكلما ازددت قربا منك أكلت مني الصبابة ومزقني القرب.

هل هكذا الحب؟

نار وصبر، وجمر وشوق في القرب والبعد؟

أتعلمين؟!

أننا من كثرة نار الحب صرنا لا نستطيع أن نحيا بدون حريق الحب.

أصبحنا نكره البرود، ونمقت الثلوج.. نكرة حتى الراحة.

أصبح اللهيب زادنا

ووهج النار وقدح الجمر قوتنا.

أصبحنا لا نستطيع أن نعيش بغير التعب، لأن الحب هو التعب هو قمة التعب، هو قمة المعاناة.

إننا من اختاره فأنى لنا بتركه، ولن يتركنا. وأنى لنا بالبعد عنه، ولن يفارقنا.

أحسب أننا لا ولن نعيش بغير نور الحب وناره. فنوره يحقق فينا الصفاء، ويخلق فينا الشفافية، وناره هي الوقود الذي يجدد فينا دماء الحركة، ويبث فينا انتفاضة الثورة فلا تصيبنا لوثة القعود، ولا شهوة الرقود، ولا جذبة الطين.

نعم.. لا سكون مع الحب، ولا جمود مع الشوق، ولا استكانة مع النبض الحي، إنما هما النار والنور معا.

وإن كانت ناره تأتينا من خارجه فتحرقنا، فإن نوره يسري في ذواتنا فيطمئننا.

وإن كانت ناره تذيب عظامنا وتفتت أوصالنا، فإن نوره يطعم أرواحنا ويذهب علتنا ويضمد جراحنا.

ألا إن الحب نار ونور،

راحة وتعب،

قتل وحياة،

مرارة وشهد.

الحب.. يال هذا المخلوق الذي يملأ حياتنا.

دعينا يا حبيبتي نروي ظمأنا من نوره قبل أن تحرقنا شظاياه،

دعينا نرتوي من ألقه قبل أن يأسرنا لظاه.

دعينا نسبح في تياره قبل أن يهجر السفين مجراه.

دعينا نحلق في سمائه قبل أن يهجر الطير فضاه.

دعينا نحب ونشتاق، ونتلظى ونتألم، ونسهر ونتعب، ونموت فيه قبل أن يأتينا الموت بغيره فلا ننال به الحياة.

دعينا نضع من مراهمه على جراحاتنا قبل أن تنفجر بالعروق دماه.

دعينا نحيا في أنَّه الآه. دعينا نسعد بدمعة على طلل من بكاه.

دعينني أحيا بحبك قبل أن تأسرني في ظلها الحياة.

عطاء المحب

إذا أجبرتنا التقاليد على أن نعطي عطاء لمن نحب، فليس إكراه نعطي، ولكن مودة نمنح.

وليس قسرا نقدم، ولكن طواعية نهب.

.. وهكذا المحبون في كل عصر، المتيمون في كل زمن، حياتهم لمن يملكون، وأرواحهم فداء لمن يعشقون، ونعيمهم في قرب من يحبون.

فكل حياة دونهم موات.

وكل شوق لغيرهم رماد.

وكل دواء بغيرهم داء.

وكل مودة ليست لهم هجران.

وكل وصال بغيرهم قطيعة.

وكل حنين لغيرهم جفاء.

وكل إحساس دونهم بلادة.

وكل سعادة دونهم شقاوة.

إنها حياة لمن يحس، جنة لمن يشعر، نعيم لمن يقيم.

ألا طوبى للسعداء دنيا بالوصال وأخرى بالمودة.

اللهم احشرنا في زمرة المحبين لك.. اللهم آمين.

ظَمَأُ الشِّفَاه

تتعجب من شدة ظمأي إليها، ولست أدري فيم العجب!

إنني أتحرق شوقا إلى تلك الشفاه الخمرية التي تنضح حمرة.. لا حمرة المجمِّلات والمحسنات، ولكن حمرة الخجل، ومن قبلها حمرة الظمأ الملتهب الذي يلسع من بعيد، ويكوي عن كثب.

إنه ظمأ الشفاه ألا تعرفين؟

لا، لا أعتذر، إنه ليس ظمأ الشفاه بل هو ظمأ القلوب، ومن قبله ظمأ الروح للتلاصق والضم والعناق، وإنما كان ظهوره أبلغ في الشفاه لأنها أداته ووسيلته.

أتعجبين من حبي لهما، يا لك من ساذجة، أنسيت أنني رب الجمال، وعاشق الحسن، وأسير صنعة المبدع فيك. أنسيت كيف تغزَّل فيهما شعري من قبل.

أنسيت أن القُبلة هي أروع وألذ، وأمتع وأشهى، وأحلى ما بين المحبين. إنها دليل الحب؛ لا إنها الحب نفسه. فلا حب إن لم يتوج بقبلة الروح للروح، وضمة الفؤاد للفؤاد، وعناق النفس للنفس.. إنه لا حب بدون قُبل، لا قُبلة الشفاه للشفاه، ولا ضمة الجسد للجسد، ولا

ما يشير إلى الجسد من إشارات يختلط بعضها مع الشعور؛ بل هي ضمة العمق، لملمة شتات الذرات المنسابة بلا انتظام في أعماق الفؤاد، تجميع الوحدات المتناثرة من كتلة النفس الذائبة في لجة الشوق وبحر الحب.

وإن كانت شهوة الجماع هي اللغة المتعارف عليها لإشباع غريزة البقاء بين الأجساد؛ فإن القبلة هي رمز الحياة بين نفسين لبقاء الحب. فلا حب بدون قبلة، وليست قبلة ما كانت ورائها أجساد تدفع.

- ما القبلة إذن؟

إنها ذلك الرحيق الذي تمتصه النحلة حين تقبل زهرتها.

إنها ذلك الماء المنسكب من أعلى قمة في جبل يعانق بذرة كامنة في أعماق أرض.

إنها قطعة السكر التي تضعها في فِيك فتذوب ذراتها لتملأ جوفك حلاوة لا تنقطع.

إنها الغيبوبة التي يصاب بها جسدك فيستسلم، في حين أن روحك تصطلي بجهنم.

- يا لقمة العجب!!

تلك القبلة السحرية التي ترى فيها تكاملا يصل إلى حد التناقض، وتناقضا يبلغ ذروة الكمال.. ففي اللحظة التي يسكن فيها الجسد وتستسلم ذراته؛ تصل الروح - لا الشهوة - إلى درجة من التدافع

والعلو والحركة الممزوجة بالسكون نحو السموق.

ما هذا الذي يحدث، قمة الحركة مع قمة السكون، قمة من التدافع مع قمة من التباطؤ، القمة العظمى مع قرينتها في آن واحد. حقا إنه التكامل والتضاد.. إنها زوجية الكون.

إنها قوة الدفع التي بها قوام الكون وهو ساكن، وبها بعضا من سر بقاؤه.

وجْهُهَا القَمَرِيُّ

كنا نجلس سويا

كنت أتأملُ وجهها القمريَ الذي ذابت خيوط البدر فيه فكان هو البدر

وانقشعت عنه أسراب الظلام فكان هو النور

وحجبت عنه فلول الغيم فكان هو الصفو.

جلست إليها؛ بل جلس القمر إلىّ، أخذت أرتوي من حسنها، أحتسي من جمالها.

جلست لأسكرَ بلا مُدام، وأنتشي بلا نشوى، وأهذي بلا مس، وأتضاحك بلا سبب، جلست طوال الساعات وعيناي لا تفارقان عينيها، أرأيتم اثنان مهما بلغا من القرب يجرؤ أحدهما على النظر في عين الآخر لبرهة؟! .. حتى الحبيبان، لا يقدران على ذلك إن لم يكونا قد خلعا رداء الجسد قبل النظر، وفكا حجاب النظر قبل الإبصار. لا يقدر واحد من اثنين على التجرؤ والنظرِ في عين الآخر وكشف سره الذي في عينيه .. ذاك لأنهما مبعث الأسرارَ ، إنهما تبديان العيوب ، وتكشفان المستور، وتظهران المرءَ عاريا أمام من يحب ، وليس هناك أبدا أفضل

ولا أحسن من تعري الذوات أمام ذواتها.

إنني أنظر إليها بلا عين، وأجلس إليها بلا جسد، وأتأملها بلا شهوة، وأحلق فيها بغير طائرة .

جلست إليها أتأملُها وما بي من الجسد غيرُ أني أملأ حيزا من فراغ . وما بنا من الجنس غير ما تحمله بطاقات هوياتنا ، ولكننا حينئذ ذواتٌ متقابلة ، وكياناتٌ متكاملة ، وذرات متضامة .

الشفافية والصفاء

ترى ما الذي يحدث لي؟

هل صار الحب شاغلي عن كلِ شيء؟

هل أصبحت العواطف عندي تمثل كلَ شيء؟

هل انسقت في تيار الحب الجارف فأنساني معالم الطريق حولي؟

هل غيب الحب عقلي وأسكرني؟

هل ما يحدث لي حقيقةٌ أم أنها الأحلام؟

أم أن ظروف الحبس والأسر الذي كبل طائري، جعلته أول ما يفكرُ فيه وهو رهين محبسه أن يفكر في رفيق يؤانسُ وحدتَه، ويخفف عنه أَلمَه؟

إن إرادتي لم تخلق ليسجِنها الحبُ، وإن همتي لم توجد لتأسرِها العواطف، وإن يقيني لم يفطر لتزعزعه النزوات.

إن كل ما استفدُته من الحب الشفافيةُ والصفاء، ولكن كلما ازدادت المرآة صفاء، كلما أرقها قطر البخار ولو كان يسيرا .. أهو قطر البخار وتلك هي علامات الأرق الذي يسببه؟

يا لها من صافيةٍ شفَّافة مرآتي، ولكن متى ينعكس عليها ويظهر في

صفحتها غيرُ شبح العواطف، ومعنىً غيرُ معنى الركون .. إنني ما زلت أنتظر .. أنتظر الماردَ الذي صار وشيك الخروج.

سنوات طويلة وأنا ما زلت أنتظره بشغف، أنتظر معه إرادتي، حريتي من الأسر، حياتي من العدم، مكانتي من الفقد، نفسي من نفسي الغير.

تُري هل سيطول انتظاري؟

تُرى هل ستطول السنوات أم هل سيقصر العمر؟

وهل سينال صاحب مبتغاه ويحصل على مقصوده؟

يا الله ..

حلاوة حبك ما أريد

لذةُ مناجاتك ما أرتجي

أملٌ منك يحدوني

رجاءٌ منك يرافقني

رحمة منك تكلؤني

راحة منك يطمئن بها قلبي.

إلهي فنيت الإرادات، وتبلدت الحواس، وجمد الشعور، وضعفت العزائم .. ولم يبق لنا إياك.

أُغلقت الأبواب إلا بابَك، وسددتِ الطرق إلا طريقَك، وأظلمت الدنيا إلا ما كان من نورك .

إلهنا هذا حالنا لا يخفى عليك، وتلك زلتُنا نشكوها إليك، وهذا ضعفنا لا يرضينا ولا يرضيك، فهبنا اللهم حالا من عندك ترضاه ويرضينا، وعلما من لدنك ينفعنا ويعز دينك.

القيود الرقيقة

لست أعرف ما أكتب؟

من أين أبدأ حتى أنتهي؟

كيف....؟

كيف أستطيع أن أجذب الخيط من بكرة ملتفة معقدة الخيوط؟

إنني غارق في الحب إلي مفرق رأسي، محاصر بالعواطف من كل جوانبي. ولأول مرة أحس بأنني منجرف في التيار يقودني بلا أدنى مقاومة مني، أسير مع الموج المتدافع بلا إرادة

.. يأخذني معه بلا عزيمة.

إنني مشلول القوى، واهن العزيمة، مفتون النفس، ضعيف القلب، مسلوب الإرادة، أسير بلا وجهة، ولآول مرة لا أعرف للطريق الممتد علامات أو إشارات.

ترى هل تحققت أحلامي في الحب حتى تم لي ما أنشد منه، وبعد أن تم لي مرادي منه ، وقضيت وطري تمردت عليه وأنكرته، أم أنه الخوف من تسابق المراحل وفجأة الأحداث

آه من الحب.

آه من العواطف.

آه من القيود الرقيقة.

يا لله كادت السفن أن تغرق.. حطمتها العواطف، وألقت بها الرياح، وجرفتها الأمواج ومَن فوقها مقهورين بلا سند، مجهولون بلا هوية، مشتتون بلا مأوى، تائهون بلا دليل.

فمن لنا إلا ذاتك؟

ومن يمد لنا طوق النجاة إلا أنت؟

ومن يمد لنا العون إلا لطفك؟

ومن ينقذنا إلا عفوك؟

إلهي متى يشغلنا حبك عن صغير حبنا، ووصالك عن وصال تعلقاتنا، والشوق إليك عما سرى في ضمائرنا.

وَرَقَةُ الحُبِ الجَافَّةْ

يا سيدتي: لقد صار حبك ورقة جافة في غصن يابس لجذع مبتور من شجرة ذابلة .

كان اخضراره من قبل يبهج القلوب، ويسمو بالنفوس، وترتاح به الأفئدة .. لكنك أشفقت إلا أن تتركيه فتركتِهِ، فكان جفافه وبالا عليك

يا سيدتي لا تسألي عن الحب فقد مات الحب، ولم يبق في شجرة الأحلام إلا أمنية وحيدة لعلك يوما تهبينها الحياة إن شئت وشاءت.

يا سيدتي لعله الفراق أقبل .. فأقبلي ما كنت سببا فيه.

كيف لقلبك أن يسلوه بعد معانقته؟

كيف تعزليه عن حبك بعد دوام عشقه؟

كيف تمنعي ماءك عنه لتجف أغصانه؟

لقد ذبلت خضرته، واصفر عوده، وتغير لونه، وجف ماءه، ونسى أصله، وودع تربته.. فأثمر الجفاء جفاء، والبعد بعدا، واليبس موتا.

أتعجبين من تيبس سيقانك، وذبول أوراقك.. واحدة بواحدة، والبادي أظلم.

إن الحب يورث حبا، وإن النضارة تزهر وردا، وإن الغراس الخصيب ينتج ثمرا، وإن ما تصنع يداك تجنيه، وإن ما تزرعين تقطفيه، وإن ما تبذرين من حب لا شك يوما تحصديه.

رسالة إلى زوجة المستقبل وشريكة العمر

أنصحك بقراءة هذه الكلمات ألف مرة، وزيادة على الألف مثلها حتى تستقر في وجدانك وعقلك فيصير سلوكك من بعدها صورة لفهمك لها واقتناعك بها، أما إذا لم تقتنعي بها والاقتناع من شيمة العقل ، ولم تؤمني بها والإيمان من خصائص القلب فبيني وبينك فراق حتى نتفق ولن نتفق أبداً إلا إذا كان وفاق على هذين الشرطين وبغيرهما فلا اتفاق .

أولا : لك يا سيدتي أن تعرفي بأن الشيء الوحيد الذي أرغبه وأرضاه وأتمناه فيمن تكون زوجتي هو الطاعة.. طاعتي في غير معصية، والامتثال لأوامري في غير قهر، والاستجابة لي في غير تعنت .

لي عليك هذه الطاعة بغير قسر أو شدة أو طغيان .. لكنها الطاعة المبصرة الواعية الراشدة. وأي خلل في هذا الركن، وأي تقصير فيه يعني قدح في قوامتي عليك، ومسئوليتي عنك .. وأحسب أنني أبدا لن أستجيب لامرأة تقدح أيهما مهما بلغت لدي مكانتها، ولا حتى لرجل مهما بلغ طغيانه .

هذه لي عليك، ولا نقاش في علة وجودها، ولكن إن أردت النقاش

ففي كيفية إتيانها وصورة عملها ، أما أن نناقش القضية أساسها فلا .

الثانية : إن هناك شيء لا أقبله منك بتاتا؛ لا شكلا ولا مضمونا، شيء يعد ارتكابه من الحرام عندي، ضرب من المحال في عقيدتي وطبعي ، إياك أن تمسيه ، أو أن تحاولي الاقتراب منه .. إنه كينونتي وذاتي ، إنه قلبي ، نعم قلبي الذي أعطيتك، إن أي إجحاف منك لذاتي، أو استصغار منك لكياني ، هو احتقار لشخصي مهما بلغت أدنى ذراته. إن أقل نظرة بغير تقدير أو بتقتير منك لي إنما يمثل لي ضربة في الصميم ، خنجر نافذ في الأعماق .

إنني وضعت بين يديك قلبي، وصدقتك حبي، فأي إهمال في تقدير هذا الصدق، وأي تغافل عن هذا الحب، وأي ذرة من فقدان ثقة .. فقدانك إيمانك بي، كل هذا يدمرني ، يؤدي إلى شرخ الجدار الذي تستند عليه علاقتنا، يؤدي إلى إحداث خلل في اتصال قلبي بك . إن قلبي الذي أولاك حبه لينتظر منك دوما الثقة فيه ، والمبالغة في الحفاظ عليه ، فإياك إياك أن تخيبي فيك أمله ، أو تنقصي فيك قدره .

وقد يكون عدم تقديرك له إما جهلا منك به، وعدم تقدير منك لحالته أو لعدم وقوفك على آثاره لانتفاء الظروف التي تشكلك مثل ما شكلته.. فهذا أقبله وأرضاه ، إذا لم يكن مصحوبا بالإصرار.

وإما أن يكون ذلك تعمدا وإصرارا ، واستكبارا ونكرانا لجميله عليك، وصنعته فيك - وأعتقد أن هذا ليس بصفة فيك - ولكن إن

حدث فهو الفراق بين قلبين لا رجعة فيه حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

حبيبتي

هذان جداران إياك أن تحاولي هدمهما. ساحتان مغلقتان إياك والولوج فيهما ، حدان إياك ومحاولة عبورهما وإلا .. !

كل ما تريدينه بعد مني فهو لك، حبي وعاطفتي، قلبي وعقلي، ودي وثقتي، إخلاصي وشوقي .. سيلٌ من الحنان لا ينقطع ، تيار من المحبة لا يمتنع.

حبيبتي

أخشى أن يكون اهتمامي بعاطفتك نحوي أنساني عاطفتك نحوه.

وأن رغبتي في وجودك معي شغلني عن واجبك في الحضور الدائم معه

وأن إيمانك بي أفقدك أن تهبي إيمانك بي له .

أخشى أن يطغى الحب على عقلك فيجعل منه مدار تفكيرك فضلا عن شعورك وهذا ما لا أرضاه .

حبيبتي

أوتذكرين أنني في علاقتنا أومن بالوقاية قبل العلاج، والقدوة قبل

الدعوة، والعطاء قبل الأخذ، والتضحية دون انتظار أجر، والفناء دون البحث عن المقابل .

سيدتي من أجل هذا فلا توْجلي، ولا تغضبي لوجود دوائر حد، وخطوط حمراء لمنع التجاوز؛ فإنما هي حدود دون قيود، وفواصل دون تعويق، وإيضاح قضايا دون تجاوز، واظهار حقائق دون التعدي. فإنني كما قلت لك لا أنتظر المشكلة حتى أعالجها، ولكنني أعالج ما لم يقع منها قبل وقوعه، وأداوي ما خفي منها قبل ما ظهوره. والإ فلسوف تأتينا الرياح بما لا نشتهي ، وتهدم ما قد بنينا من حيث لا ندري.

حبيبتي

اقرأي هذه الكلمات مرات ومرات، وصدقيني لا وفاق حتى نتفق، ولا استمرار في طريق حتى نتعاون فيها ونلتصق، ولا بقاء حتى نعالج أخطائنا بصدق، ونواجه أنفسنا بصراحة.

وبكل الحب الذي يهبه لك قلبي أختم كلماتي التي خطها عقلي في رضا من قلبي، وفي موفور من إرادتي وعزمي .

عالم من العراه

هل جربت مرة أن تعيش وسط عالم مزدحم من العرايا؟

هل جربت أن تحيا بين أناس كلهم بلا غطاء أو ستر؟

تُرى ما الذي يحدث لك ساعتها إذا أبصرت الناس كلهم كما هم عليه؟

يا لها من تجربة حية أعيشها، إن الناس كلهم حولي عرايا مع اختلاف درجات العري فيما بينهم؛ فمنهم مكشوف العورة، ومنهم مستورها، ومنهم مكشوف البدن عاريِه ، ومنهم من هو كيوم ولدته أمه

إنني أرى الناس كلهم أمامي عرايا تبدو عوراتهم لناظري، لكنها ليست عورات جسد بل هي عورات أنفس، وليست عورات أنفس بقدر ما هي فجوات للروح ثقوب قلوب:

إن الرجل الكذوب هو - بالنسبة لي - عار من ثوب الصدق.

والمرأة اللعوب عارية من ثوب الفضيلة.

والحاكم المستبد عار من ثوب العدالة.

والشيخ الدجال عريان من ثوب الإتباع.

والفقيه المراوغ عريان من رداء العلم.

والكافر عار من صبغة الإسلام وما أحسنها صبغة .

بالله ياله من عالم ممتلئ بالعري ولا أحد يشعر. إنني حقا أعاني من هذا العالم ، وأشد ما في المعاناة أنك بمثابة الطبيب الذي يرى العورة مكشوفة أمامه، فإذا هو مطالب بسترها في الوقت الذي تطالبه نفسه بفضحها وكشفها والإطلاع عليها.

ياها من نفس تدعوك وتزجرها.

ورغبة طاغية تطلبك وتدفعها.

وشوق جامح يناديك وتكبحه .

ياها من معركة: معركة العري المزيف مع العري الصادق كلاهما عري.. نعم.

فالحقيقة عارية لا ترتدي إلا وجهها وحسب، فالحقائق واضحة بلا لبس، عارية بلا ستر، ويوم تُغَطى الحقائق بأضدادها فقد أذن الوقت لدفنها.

يا أهل الحقائق آن الأوان لتكشفوها، ولتنزعوا حجب الغفلة عنها، وإياكم وإياكم أن تستروا في أنفسكم حقا فتكتموه، أو أن تخفوا في قلوبكم يقينا ضاربا في أعماق الورى فتسكتوه.

.. دعوا الحقائق عارية تنطق بلسانها لا بألسنتكم .

مراوغـــة

ألحظ في عينيها إعجابَها الشديدَ بنفسها، واعتدادها بجمالها؛ وهي كذلك .

.. وكان أشد ما يعجبني فيها عيناها، وأشد ما يأسرني فيهما شباكها المنصوبة لي وسرعة هروبي منها.

كانت كل نظرة منها إلي، ونظرة مني إليها أشبه بأحد جولات المصارعة بين سحرها المندفع نحوي بقوة، وبين عزتي المتمنعة عنه بجلال .

كنت أداعب في عينيها قوتي، وتداعب فيَّ عينيْ فتنتها .

كانت تفخر بشباكها المنصوبة حولي، وأفخر بقدرتي على النفاذ من تلك الشباك الآسرة.

إنه لا يفهم ما في عينيها من الفتنة والإغراء وسلب الإرادة، إلا من ينجح فقط في ترجمتها ثم الهروب منها.

أما من ينظر إليها بإعجاب فلا شك يسقط في براثنها.

ياهاتين الساحرتين، ويالجمالهما الفتان، إنهما ترمي بشرر كالقصر،

تقذف بسهام كالطود،

قناصة ولا ينجو من القناصة إلا المحترف أو الموقن الزاهد،

فالمحترف يعرف كيف يراوغ السهام، والزاهد الموقن يحميه ربه منها ويدفعه عنها، فالمحترف يقاوم الأسباب، والزاهد يمنع أصولها، ويقص جذورها .

.. وإنني وإن كنت أحسب أنني أردها اليوم كمحترف بنفسي، عالم بنفس غيري ، فإنني على خطر يَسْلَمُ قليله، وعلى جرف قلما ينجو المار به. ولعله من يُمن الأمر أنني أردها اليوم .. وأردها أيضا غدا، ولكن أسأل الله أن أكون غدا الزاهد لا المحترف .

حين يكون الكشف عن مكنون ذاتك منهج

كان من الممكن أن لا أكتب هذا الكلام في مذكراتي. كان من الممكن أن أشعر به بلا كتابة، وأحس به بلا حديث .. أو أدفن ما كتبته فلا يطلع عليه أحد . أو أن أخفيه في نفسي فلا يخرج، أستره في جنباتي فلا ينفذ.

.. ولكن ما حيلتي وهذا منهجي: أن أصور كل لحظة من لحظات عالمي الداخلي بلا زيف أو مداراه، بلا تكبير أو تهويل في حدود ما تسمح به اللغة الشاعرة المعبرة، بلا محسنات أو مزركشات، بلا ادعاء أو تزيد.

أن أعري نفسي لأفضح حقيقة النفس البشرية؛ معرفا إياها لكل ذي لب، أو شغوف بدراسة.

أن أكشف حقيقة ذاتي لأنفذ خلف هذا العمق من هذا الركام الكثيف الذي يغطيها لأصل إلى الحقيقة المجردة، والحق المطلق، والخالق المبدع لكل خلق فأعبده بمعرفة، وأسير إليه بجد، وأتقرب إليه بخشوع وعلم.

إن الذين يسترون حقيقة ما في ذواتهم بدعوى أنها تقود إلي انحراف أو تدعوا إلي رذيلة، أو بدعوى أن صاحبها يأثم بذلك ...هم في الحقيقة لا يدركون سر الخليقة في ذواتهم ولا يعرفون كفة الحق في أفئدتهم، ولا

يعلمون التواصل بين الأشياء ولا دقائق الغيبيات بين الأنفس .

إن من حِرفتهم إنارة الطريق، وحمل راية الفكر السوي في طريق مظلم شأنهم في قيادتهم كمن لا تكون التجربة الأولي إلا علية، كمن يتلقون أول قذيفة تصيب في مقتل .

إن من حِرفتهم التفكير من أجل إزالة اللبس المفتعل والغموض دائماً هم الطليعة من كل شيء.

ولسنا نبغي من وراء كلا من هذا مغنماً، يغنم أو كسباً يكسب، أو دنيا بدنيا إنما نريد من وراء ذلك أن نقدم حقيقة النفس البشرية التي تحدث عنها القران، وعرفتها السنة لكن بطريقة غير تلك الطريقة المباشرة التي عهدناها في بعض كتابات الأولين؛ إذ من الناس من لا يقبل حديث النقل ويعتقد بكلام العقل، ومنهم من لا يقبل كلام السماء ويؤثر كلام البشر.

والناس أهواء ومعادن، ولأن الحق حق فلا يخشى الحق المواجهة أن يواجه ، ولا التحدي أن يتحدى. ونحن ندفعه في كل ساحة، ونحمله بكل راية في كل جهة ولا نخشى المواجهة به ، ولا تنعدم عندنا حجة ولا تنفذ لدينا سبيل، ولن تغلب عندنا الحيل ولن تسقط لدينا الأدوات.

وان شمول الحق وقوته يجعلنا نأخذ منه ونحن أقوياء، نحمله ولسنا ضعفاء ، نفهمه ونحن الواثقين به وفيه .

ولسنا أضعف حتى نترك المواجهة.

ولسنا أقل فهماً من ذوينا حتى نسلم لخصومنا.

ولسنا اقل إيماناً حتى تعترينا الأهواء.

ولسنا أيسر حيلة حتى نتوه في الطرقات.

ولسنا بأقل همة حتى نقعد عن جهاد كله شوك.

فنحن بالحق وللحق مادام الحق قائم والحق قائم ولم يقعد.

ونحن للحق مادام الحق دين القلب والعقل ولن ينحرف فينا عقل أو يضل قلب إن شاء الله .

هذا هو منهجنا، فمن صحبنا فهيا فليحمل وإلا فما أيسر الأماني، وما أرخص الجهاد عند قوم لا يحسنون إلا الكلام.

أنواع من الجمال

كثيرات هن صويحبات الجمال، ولكن يا أسفاه قليلات منهن الحسناوات.

كل امرأة تراها تلمس فها أثراً من أثار هذا الهيكل المقدس "صرح الجمال".

قد يعجبك من إحداهن البنيان، أو قد يكون سر الجمال في العذوبة لا البنيان، وقد يكون لا في هذا ولا في ذاك، ولكنه مستقر خلف البنيان محفور خلف الجدران ...انه جمال الشعور، رقة العاطفة ، حلاوة الروح.

كل امرأة من النساء تشبه نجم من نجوم السماء، على قدر جمال كل امرأة منهن يكون نفاذ نورها ..

إن الجمال بالنسبة للمرأة هو ذلك المعبد المقدس الذي تظل تشيِّده طول حياتها وتجمِّل فيه بقية عمرها من أجل أن يراه المارة، ويسجد لروعته الحضور.

إن جمالها.. كنزها، ثروتها.

إلا أنه ليست كل النساء ترى فيها الجمال الحسي، وان الجمال عندي يراه الرجل على أنواع :

- فمنه الجمال المكشوف؛ ثراؤه في ذاته: ينضح به الوجه، وتفْتــرُّ عنه الملامح. لا يستتر خلف ستار، ولا يختفي خلف حجاب، إنما هو ظاهر تلمحه العيون، تراه منذ الوهلة الأولى بلا تعب أو تكلف ..لأنه لا يكفك التعب في البحث عنه، أو المشقة في اكتشاف تقاطيعه الدقيقة، إنه أشبه بجمال القمر حين تراه ليلة التمام سهل أن تراه كل العيون .. ولكن ليس كل الناس يعشقون الأقمار.

ولكن يعاب على هذا النوع انه يفتقر إلى المثيرات واللذة، التي هي أجمل من الجمال نفسه .

- وهناك الجمال الوقح؛ إنه الجمال الذي يجبرك لتنظر إليه بالإكراه، يلوى عنقك عنوه لتنظر اليه. إنه يحب الفضيحة لا الستر ، يهوى التبختر لا التجمل ، يحب الكشف لا الغطاء. صويحبات هذا الصنف غالبا من الجميلات لا روحا ولا حتى جسدا. لذا فهن يلجأن إلى إثاره حواس الشهوة لا متلذذات الجمال. إنه جمال يقوم على الشهوة الحسية المجردة من كل شعور. إنه الجمال الرخيص، جمال الجسد السافر.

- وهناك من الجمال الجمال الفتّـان؛ إنه يشبه الصنف الأول في صراحته ووضوحه، ولكنه يتميز عنه في أنه يفتنك بتقاطيعه الباهرة، ومكنوناته الساحرة، فلا تملك إلا أن تغرق فيه. تداوم النظر إليه فلا تشبع منه، إنه يجبرك لا بالإكراه كالصنف الثاني، لكنه طواعية منك لا قسرا منه. يغريك بجماله وفتنته ويترك لك الاختيار .. فلا تملك أمامه

إلا أن تنقاد له.

- وهناك صنف أخر من الجمال هو "الجمال المكنون"،؛ هو الجمال النفاذ، هو الجمال الأخَّاذ. هكذا أحسبه، إنه الجمال الذي ينبع من الأعماق، جمال الحوريات تحت أمواج البحور، لا ترى جمالها فلا ينبغي للعيون أن ترى الشمس إلا من خلف حجاب، ولو أنها رأتها بغيره لاحترقت.. إنه جمال ينفذ خلف الغطاء ..قد لا يكون غطاءً من قماش بقدر ما هو شيء آخر، فلنقل أنه غشاء الغموض .. نعم الغموض. إنك تحس به دون أن تدركه. إنه غطاءٌ داخلي موجود في ذات الجمال.

إن صويحبات هذا النوع هن الحسناوات. لأنهن يملكن معيار الجمال الصحيح. ذلك الجمال الذي لا تجرؤ عينيك على التحديق فيه، لا لشيء إلا لأن عدساتها أضيق من أن تسع هذا الجمال الذي لا يدركه سوى القلب. إنك تنظر اليه بعيون قلبك مع ناظريك. إنه يستثير فيك حواس الفضيلة لا الرذيلة، ومكنونات العفة لا التلصص. إنه يدفعك لترقى إلى الكمال البشرى في سلم الجمال ودَرَجِه.

قليلات هن صاحبات هذا الصنف، وذلك لأن النساء أعجز من أن تذوق طعمه، أقل من أن يعرفن قدره، ولو أنهن عرفن لأسرعن إليه، ولكن ما حيلتهن والعقل ناقص .

- هن الحسان فان قبلت تكرماً فمهورهن شفاعة حسناء

- فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً فهذا زمان المهر فهو المقدم

ولك أن تقول إن كل جمال لا ينبنى على الحسن فهو جمال زائف، سرعان ما ينضب معينه، ويخبو بريقه .

إن الجمال الحسن، هو نعم الجمال. لأنه استمد جماله من الحسن، والحسن هو قمة الجمال ... والحُسن خلق الكمال .

- وهناك من الجمال "الجمال المراوغ "؛ يلبس كل يوم جلباب، ويزهو كل لحظه بثياب، إنه يراوغك على النظر إليه، يلاعبك حيناً بنظرة، ويداعبك حيناً بلفظة، ويشغلك بلفته، فلا تملك إزاء القرب والبعد، والصد والهجر أو الوصال.. وتغير المواقف من حيله لأخرى؛ إلا أن تُدهش له أو أن تتحرك إليه أو أن تسعى عواطفك في طلبه شغفاَ بالبحث عنه. إنه الجمال اللعوب، لأنه قائم على المشاغله والمداعبة، أكثر منه على الجمال نفسه. إنه يستعين بكل السبل، ويستخدم كل الوسائل ليجذب إليه العيون ، ويشد إليه الافئدة، ليس ذلك لعجز فيه عن أن يلفت النظر إليه، وقد يكون لانشغال القلوب عنه والأنظار بغيره.

وشأن صويحبات هذا شأن العذارى البكارى أن يقمن بإثارة الزوابع حولهن ليشغلن المارة، ويجذبن الشباب ليقعن في شباك الهوى، ويتفننَّ بهذا.

ومن حسنات هذا الجمال التي قد يفتقدها غيره أنه مفعم بالرقة والحساسية، والحيوية والنضارة. لم تؤثر عليه تجارب حب فتجمده، أو الأيام فتسكنه وتجففه. إنه كالورود النابتة تحس فيها بلطف الطبيعة،

وجمال الخليقة مع حركة الريح المرسلة .

إنه جمال رقيق في عُذوبة، لكنه يفتقد إلى الوقار، وجاذبية النفس الصامتة الأخاذة.

ومن حسنات هذا الصنف من الجمال أنه يزكى لهيب الشوق بين الأزواج، ويشعل نار الحب بين المحبين، لأنه بطول العشرة قد تهدأ الطباع ، ويعتاد كلا الزوجين على الآخر، فيكون من حسناته أنه يُحي اللعب بعد فوات أوانه ، ويُذكى اللهيب بعد خبوت جمرها. إنها سعادة المراوغة. الطلب والصد.

- وهناك صنف أخر من هذا الجمال لم أره قط، لكنى أحس بوجوده قريب منى، ألمسه على بعد خطوات. أين لا أعرف؟ لكنه قريبٌ قرب الروح إلى نفس صاحبها، قُرب القلب إلى صدر صاحبه . إنه " الجمال المِثال " جمع في مثاليته آليات الحقيقة. وارتفع بحقيقته إلى فن المثال. تجمّع البشرية وتفرد بالملائكية، فهو مزيج متفرد، قليل من يصل إليه.. لا من يصلن إليه.

انه نموذج أخروي لا يحققه في دنيا البشر إلا من ارتفع فوق واقع البشر ولا يسمو إليه إلا من ارتفعت روحه فوق جسده، وعلا فكره على حسه، وكان قلبه مقدَّم على كل شيء ... فهل يا ترى سأكون منهم ؟!

المرأة ... وفصول السنة

وهكذا الأعوام في فلك الدهر، وجبه متكاملة الأطباق إذا امتزجت جميعها في بوتقة واحده لرأينا عدالة التقسيم والتوزيع لكل الأفراد متكافئة .

فلا يستقيم سِقم لذوى مرض، كما لا تستقيم صحة لذوى جسم.

إن السنوات على اختلاف ما تحمله من تجارب تعكس حقيقة كليه متزنة.

فسنوات الخطب والجلل، تقابلها سنوات اللهو والمرح .. هذا في السنوات.

ومثلها، السنة الواحدة، فصولها متباينة.. يتمم أحدها الأخر، فيصنع منها في النهاية رداء يناسب كل الأعمار والأذواق والألوان .. فيه جودة الخامة مع دقة الصناعة، وفيه حسن المنظر مع رقة الملمس.

.. ومثل النساء مثل السنوات. ومثل المرأة الواحدة مثل السنة بفصولها المتباينة. بل إن امرأة واحدة تعكس - ربما – في لحظة واحدة .. فصول السنة جميعها: فتراها في لحظه تتقلب بين هجير الصيف، إلى لسعة الشتاء، إلى عاصفة الخريف، فإلى نضارة الربيع .

إنها شخص متقلب المزاج، متفاوت الشعور، فيه كل فصول السنة، إنها مخلوق عجيب قادر على التلون والتغير مع طبيعة الموقف الذي تحيا به. وإن الرجل الأكثر حنكة هو الذي يعرف كيف يتعامل مع طبيعة المرأة فينعم منها بدء الشتاء دون أن تلسعه برودته، ويستلذ منها بصفاء الصيف بعد أن يستبعد منها حرارته وحدَّته، ويأمن منها عواصف الخريف في كمون بذرته.

الرجل الذكي هو الذي يستطيع أن يديم ربيعها أطول فترة ممكنة.

إن مشكلة الرجل في تعامله مع المرأة هو كونه يريدها ربيعا لا خريف له، ودفئا لا صيف فيه، وهيهات يحدث ذلك.. أليس الربيع أقصر فصول العام.

وإن الرجل الذي يعامل المرأة على أنها فصل واحد هو الرجل الغبي، كيف يتعامل مع فصل واحد دون معرفته بخفايا الفصول الأخرى، ولسوف يأتي عليه اليوم الذي يتلظى بنار صيفها حين الغضب، أو يصطلي ببردها حين الهجر، ويضطرم بعواصفها الهوجاء حين الكيد.

إن الرجل الذي يُصرُّ دوما أن يعيش في خيمة الربيع ربما ستقلع خيمته رياح الخريف، والذي يُصرُّ على أن ينعم أبدا بدفء الشتاء لابد وأن تلهب ظهره حرارة الصيف.

أيها الرجال لا تحلُموا بالربيع في ليل العام كله، إذ كيف يحلم من يمشى على أرض الواقع .

وإذا كانت النساء يتمثل فيهن فصول السنة بتغير طبائعهم حال المواقف فإن من النساء منٍ تطغى فيها خصلة على الأخرى ويظهر فيها فصل عن أخيه.. فمثلاً ترى المرأه الصيف، والمرأه الشتاء، والمرأه الخريف، والمرأه الربيع وهكذا.

وقد قدر لي أن أرى بعيني نساء أربع- في المكان الذي أعمل فيه- يمثلن فصول السنة الأربع أو تتمثل فيهن فصول السنة .

فـ (أ)؛ أقرب ما تكون كفصل الشتاء مثلما تشعر فيه بالدفء إلا أنك تحس فيه بلسعة البرد.

يغريك فإذا ما شعرت معه بالسكون والاستقرار يعود فيصدمك بمطره الهطال وثورته على الثبات.

مَثلُهُ كليله الطويل، تحلو معه الحكايات والسمر إلا أنك لا تأمن فيه الملل.

إن الشتاء بالنسبة لفصول السنة هو الفصل الأم - هو الأصل - الذي يتولد عنه بقية الفصول فمن دفئه يتولد الصيف، ومن لسعة برودته يكون الخريف، ومن مطره المتساقط تنبثق خضرة الربيع .

إنه فصل يحوى كل أسباب الحياة، إذ بفضله اختفت أسباب الهلاك. إنه شهر خصبٌ وَلُــــود ، تتعانق في بطنه البذور مع تربتها، فتنبت الزهر النابض والشجر الباسق .

إن الشتاء هو فصل الإبداع، فصل الحياة فصل الشعور والعواطف والتفكر .. وحقاً صدق قول القائل صلى الله عليه وسلم " الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه "، إنه أحب الشهور إليَّ علي الإطلاق .

أمـا (ب)؛ فهي أقرب ما تكون إلي شهر الصيف، يفرحك بسطوع شمسه ويلهبك بحرارة شعاعه، تفرح فيه بوضوح الرؤية لكن كثيراً ما يسلب عينك بإرمادها حسن الرؤية. صحيح أن ليله مسالم ساطع النجم منقشع الغيم؛ إلا أن نهاره طويل ممل. أنه فصل خادع يغريك بالتحلل من ثيابك خوفاً من هجير حرارته ، بينما تفتت عظامك برودته.

إن فصل الصيف فصل من يحبون اللهو والعبث، إذ فيه تربح تجارة من لا سلعة له .

إنه فصل البريق لا العمق، السراب لا الحقيقة، لذا فأغلب الكتَّاب والأدباء يهجرون كتاباتهم فيه لأنه ليس فصل ولادة المعنى، ليس فصل إرسال الرموز؛ بل زخرفة القول. إنه فصل الطلاء الناعم لا الحقيقة الكامنة. إنه فصل السراب، فلا يظهر السراب إلا مع ضوء الشمس، وكأنها حقيقة، ألا يظهر بريق خادع إلا مع النور الساطع، ولا ترمد عين جمال رؤية إلا مع وضوح الرؤية. إنه فصل الانطلاق والحركة لا الثبات والسكون، إنه فصل الصحة الناقصة لا المرض المعجز.

أمـا (ج)؛ فهي أشبه ما تكون كالخريف، إنه حقاً فصل الحقيقة

العارية إذ تتحلل فيه الأشجار من أثوابها فتنكشف هنالك حقيقتها بلا زيف ولا خداع ..

إنه فصل الفلاسفة أصحاب التأملات والرؤى ممن لا ينفع عيشهم إلا مع التقلب والاضطراب، فأصبح ذلك قانون حياتهم ذلك لا يحيدون عنه.

إنه فصل ملاحقة التغيرات، إذ لا يدوم ثبات فيه، مزيجه العاصف دفء واستقرار، ورطوبته السامة اعتدال وانسجام. إنه فصل الحركة لكنها الحركة المحمولة على عجلة الدوار لا على محور الثبات. ينير فيك حاسة البحث ثم يثير فيك المجازفة بتركها. إن فصل الشتاء هو النقطة الفاصلة بين الفصول، إنه خط بين مرحلتين .. وحياتين، يَبَسْ وخضرة ، جفاف ونضرة، حياة وموت.

إنه قادر على أن يهب الحياة البذور، وقادر على إتلاف النبت، إنه فصل متقلب المزاج، مضطرب الشعور، فصلٌ مجنون .. وهل الحياة إلا الجنون!!

إنه لا يعشق فصل الخريف إلا القادرون على مواجهته، ولا يحبه إلا العاشقون لروح المغامرة، المحبون لجو التضحية. إنه أشبة بأفلام المغامرات لا تأتيك المغامرة فيه إلا من حيث لا تتوقع.

وان المرأة الخريف هي أسوأ النساء على الإطلاق إذ هي سريعة التقلب ، سريعة التغير، سريعة ارتداء الأقنعة.

وتبقى (د)، ويبقي الربيع، وكأنهما ولدا ليموتا، وظهرا ليختفيا، فحياتهما مقرونة بالموت، ووجودهما ممتزج بالعدم.

إن الربيع حقاً هو شهر الزهور اليانعة، لا فصل الخضرة الدائمة الخضرة، إنه الشهر الوحيد الذي يوحي إليك ظاهره بالاستقرار ولكنه باطنه متفجر بالاضطراب.

إن الربيع أشبه ما يكون بقصة حب قصيرة الأجل بين حبيبين سرعان ما تقابلا سرعان ما افترقا، فمع قمة السعادة حين اللقاء تكون قمة التعاسة حين الفراق .. إنها فرحة اليوم لكنها مع خوفٍ زوالها في الغد. إنك تحيا فيه بالحب بينما تشقيك الظنون .. حقاً إن حياة الزهور قصيرة، ولكن الأشجار معمِّرة .

إن حياتها أشبة بالأحلام فأنت تحب .. تعشق .. وتحيا ثم تستيقظ فجأة لترى أنك كنت تسبح على اليابس وتمسك الوهم .

إن أكثر ما يحبه الناس الربيع، لكنه لا يدوم لهم .. إن فصل الربيع بالنسبة للسنة أشبه بطفل بين حفنه من الرجال.

إن فصل الربيع هو فصل الأطفال، إذ أنهم يعيشون لحظتهم دونما سعى لإرهاق الذهن بغدهم .

وإننى لاستمتع بالربيع فقط حال طفولتي وأظن أن الدنيا كلها ربيع عندي إذ لا تغادر نفسي طفولتها...

وهكذا النفس السوية ..لا يستقيم بدنها إذا غادرت طفولتها وودعت رجولتها بل ذاك في ذاك، حلمٌ، وواقعٌ، أمل وعمل.

الشوق المختلف

إن شوقي إليها الآن يختلف.

هل شوقي إليها الآنَ هو شوقي إليها من سنوات؟

هل يختلف الشوقُ بإختلاف حالةِ المشُوق إليه والظروف التي يمر بها كلا الحبيبين؟

نعم.

نعم، يختلف الشوق بإختلاف حالةِ المتشوقِ ومكانِه، وأسباب أخري كثيرة. ... فالمشتاق الذي لا يملك حبيبَه تحت يده. المشتاقَ الغريب عن أهلة ووطنه أشد شوقاً ممن هو فيها.

والمشتاق رهيف الحس، جياش الشعور، عاطفي النشأة أشد من نظيره. والمشتاق إلي الروح غير المشتاق إلي الجسد. ومن يطلب الحس شتان بينه وبين من يطلب الشعور.

.. كنت أعشقها طيفاً، أشتاق إليها روحاً، أهيم بها خيالاً، تُيِّم بها قلبي ذاتاً مجرداً... كان حباً لا دخل للجسد فيه، لا يعرف الجنس سبيله، لا دخل للوهم أو الخرافة فيه .

لم يكن من قبيل الشهوة .. فلا هو شوق جنس إلي جنس، ولا النوع إلي النوع ... إنه شوق القلب إلي القلب، والروح إلي الروح، إنه التجرد من معبد الجمال ، والزهد في آية الإلهام، إنه حب الروح كما يحلو أن يسمِّيه البعض ... ليس فيه غير المجردات .. السمو والتحليق والترفع والتزكي سماته.

كان ذلك شوقي إليها فهل تغير؟

هل غيَّرته الظروف وتحولات الزمن؟

نعم طرأ عليه بعض التغيرات: اقترب خطوة من الشعور المجرد إلي " الحس الشعوري " أو الشعور الممزوج بالحس.

.. إننا في كثير من الأحيان لا نستطيع أن نعيش ملائكة، لا نستطيع أن ننسي ذواتنا أو أن نتجرد من ثوب أجسادنا، وإلا صارت رهبانية أو هي أقرب. لكننا لابد وأن نوازن بين متطلبات الجسد ومستلزمات الروح، بين حاجات النفس الضرورية التي لا غني لحياة بدونها، وبين السفر إلي الله بقلوبنا وأرواحنا التي لا بديل عنها.

إنه التوازن الذي لا يطغي فيه حس علي شعور ولا شعور علي حس.

.. ومن ثم فلابد وأن يتغير شوقي درجة ليصل إلي وسط النقيض من طرف العصا، فيصبح الشوق إلي الزوجة الحبيبة بدلاً من الشوق إلي الطيف الهائم.

التملك والتذوق ثم التخلق

إن ما مررت به في الفترة السابقة كان شديداً بكل مقاييس الصلابة، أليما بكل مقاييس النفاذيه، قوياً بكل مقاييس العمق.

وكأن أشد ما فيها، وأعمق، وأكثر ألماً، أنني كنت فيها كالتائه. كمن يبحث عن إبرة في كومة قش، أو كمن يبحث عن لؤلؤة لا يعرف عنها شيئاً، في سراديب المحيط.

وأفسر لكم ما حدث:

رأيت في نفسي في الآونة الأخيرة معاناة وشدة وألم، حسبتها في البداية ألم عارض وشدة زائلة، من قبيل ما أمر به دوماً، فإذا بالأمر يزداد ويستفحل ولا أدري ولا أعرف له مصدراً .. فلجأت إلي التفكير لعلي لأجد عنده الحل والتفسير.

وهكذا أنا كلما ألَّمت بي الملمات ألجأ إلي التفكير، وكلما فكرت كلما كثر معه التأمل، وازداد معه الحزن، وربما بلغ الحزن في بعض الأحيان إلي درجة الثمالة من شدة الألم .

وكانت الفكرة التي وصلت إليها مفسراً ما أنا فيه:

أنه حتماً، وأن هناك في نفسي ثغرة ما زالت لم تسد، وفجوة يدخل

فيها ما يعتلي النفس.

ثم كانت الخطوة الثانية وهى محاولة البحث عن ماهية هذه الثغرة: ما هي؟ وأين تكون؟ وأي شيء يدخل إلىّ منها؟

ومعني هذا أنني يجب لأن أفتت كلُ متراكب فيّ .. وأن أجزيء كل متكامل في نفسي ، وأن أفكك كل ما قد ارتبطت ذراتة، كان علي أن ادرس تاريخ كل ذرة في بنياني وأن أفتح له ملفاً مما تكون وما السبب الدافع إلي تكوينه ؟ وما الظروف التي كان لها دخل في تكوينه؟ وهل هو ثابت بثبات هذه الظروف أم أنه متغير بتغيرها ؟وهل هو نابع من حقيقة النواميس وثوابت أنفس ؟ أم أنه متطور بتطور الشعور؟

بعد جنون من التفكير .. أو تفكير من الجنون... أيهما.... وصلت إلي ما قد أحسب أنه الخلل.

أكيد أن الخلل يكمن في هذه القاعدة التي وضعتها لنفسي وسرت بها زمناً من قبل ... هذه القاعدة هي " التذوق فوق التملك " وكان عليّ أن أجرب ما قد وصلت إليه ، فإذا بنفسي دون تدخل..

إذا بها تفاجئني وتطغي علي سيطرة العقل وتسرح في المعتاد من الصور الجميلة منها ... إذا بنفسي تأخذني في موقع المواجهة السافرة وآليات الجمال الشهي المثير الفتان. وهنا مكمن الداء، ومن ثم كان ينبغي علي أن أغير القاعدة إذ أن وجود كلمة مثل التذوق سيجعل من نفسي تلقائياً تؤخذ في الجمال وإن هي زهدتْ فيه من قبل - فلا تملك

- إذ ليس من المعقول أن تزهد في ملك الجمال ولا تزهد في التلذذ برؤيته والاحتساء منه، فما ثبت في النظريات لابد أن تطبقه الحواس في الآليات . إذن ينبغي أن تسد ثغرة التذوق هي الأخري، فقد يوقف الإنشغال بشعاع النور عائقاً عن مشاهدة الصباح نفسه، وقد تشغلك رائحة الوردة عن إستحسان الوردة ذاتها ، في بعض الأحيان يشغلك زركشات الجمال عن الجمال نفسه. والأدهي من ذلك والأمران يشغلك الجمال عن مجمِّله.. وروعة الخلق عن خالقة.. وعلة الوجود عن واجده.

ألا ما أحوجني وما أحوج نفسي الآن أن تنتقل من التذوق إلي التخلق، كما انتقلت من التملك إلي التذوق من قبل.

تري هل هذا التشخيص الذي وصلت إليه لاحقاً هو ما تمر به نفسي؟

وهل حقاً هي محتاجة إليه ؟

ترى هل خدعتني الأفكار، وتلونت أمامي الأحاسيس؟

الذي أخشي منه في النهاية هي خطأ الناس في الحكم علي صاحب الفكر ..فيتهموه بالانحراف.

والحكم علي صاحب القلب أن يصفوه بالضلال.

والحكم علي صاحب العقل أن ينسبوة إلي الجنون.

والحكم علي صاحب الدين أن يجعلوه وصاحب الفتنة سواء.

إن قضية الحكم علي السلوك بالنسبة لمن حِرفتهم التجديد في ظل

العقيدة الصحيحة والدين الحي هي أخطر ما يواجهه الفكر الإنساني كله.

لذا شرح الإسلام الاستتابة لتبيان حقيقة ما يدور بالنفس إن شذ في بعض الأحيان السلوك. ولذا نقول بشذوذ السلوك فلا يستقيم صاحب دعوة إلا إذا وافق ظاهره باطنة .. وكان سلوكه مرآة الحقيقة التي بقلبه، كان خلقه القرآن ...

أحسب أنه مما سبق أكون قد عبرت عن نفسي وتدرجها في معارج ترقيها هو الصواب.

سحر العيون

تحس أن كل ما تود أن تقوله بشفتيها تسر به خيفة الجهر عينيها،

وكأن عينيها رسول قلبها وبديل لسانها، وكأن لحاظها صفحة بيضاء شفافة من الموج الشهي ترسم عليها كل اسماك المحيط لتعبر عن كل جمال لعمقه.

إن كلماتها ليست كالكلمات، وإن حديثها ليس ككل حديث.

إن كلماتها السحر تذيعه في نظراتها.

وكأن الله قد محا منها وظيفة اللسان فقامت العين بوظيفة الإبصار والتحدث.

وكأنها استعاضت عن حركة اليدين تعبيراً وتوضيحاً، بحركة الرموش والأهداب تبياناً وتفسيراً

..إن لها سر لا تبديه، وإن لها لفتنة لا تكاد تقف لها علي مصدر، وإن لها لسحر يكاد من فرط شدته علي قلبك أن تقول له كفي كفي فقد مضي عهد النوم. وإنك لا تكاد حين تنظر إليها لا تحدثك حديث الألسن ولا الشفاه ... بل تراوغك مراوغة اللعوب الذي يريد أن يأسرك بحركاته فضلاً عن جمال خطابه حين النداء إذ يناديك .

النِّيرانُ الخَمْسَةُ

النيران خمسة: نار الحب ونار الغيرة ونار الشوق ونار الحقد ونار الغضب .

فأكثرها دفئاً نار الحب.

وأكثرها توهجاً نار الشوق .

وأسرعها اشتعالاً نار الغيرة.

وأكثرها ضراماً نار الحقد.

وأشدها فتكاً نار الغضب.

دنيا العيون

المرء مختبيء تحت نظرات عينيه فمن عينيه تعرفه، فالعيون نوافذ مفتوحة تظهر ما خلفها وما ارتسم من صفحاتها فيظهر من خلفها الطيب الجميل والقبيح الشرير ...

يكفيك من امرء نظرات عينيه فتعرف أسراره ومكنوناته، وليس كل امرء يعرف ما تخفي العيون ولا كل قاريء يستطيع أن يقرأ ما ستر خلف الجفون، إنة اللبيب الحاذق، الفطن الأريب، وفوق كل ذلك المطمئن الطبيب الذي حصَّن بمصل الوقاية من سهامها ، إنه كالمتجول بين الغاب دروبها وطرائقها، قد يصيبه شَرَك مميت أو سهم قاتل أو حيوان مفترس، أو لجة يغفل عنها فيقع أو طريق النجاة وهذا صعب مرير.

إن العيون أصناف يحار فيها العقل، ويعجز عن تذوقها صاحب الحس..

وقليل ما ينجو من سهامها الحذوق .

فهناك عين تعرف فيها معني الصفاء

فهي كصفحة السماء حين تخلو مما يعكر صفو الأفق وهي كصفحة

الموج حين تظهر ما خلفها من العوالم إذا تحركت حركة رقيقة دقيقة في دوائر تتسع وتتواسع.

وهناك أعين جذابة:

لا تستطيع إلا أن تنظر إليها بلا إرادة فتسلبك أول ما تسلب الإرادة ثم تفقد معها حريتك وتتحلل منها ..إنها تأسرك لا محالة .

وهناك أعين قاتلة:

ترميك بسهامها فترديك صريع لحاظها.. إنها ترمي بسهام الجاذبية ومعها سكاكين الفتنة .. فتحاصر بالسهام من جانب والسكاكين من الجانب الأخر فإذا بنفسك محاط لا ينجيك إلا عناية من الله بغض طرفك عنها والوقاية من سهامها.

وهناك أعين حيية:

تغض الطرف عما يفضح وترد العين عما ينكشف فتحملك لا محالة علي احترامها وترسل إليك رسالة سرعان وصولها علي جناح لطائر حنون رقيق .. رسالة مفادها؛ إنني الحياء فلا تنظر، إنه الستر فاقترب بلطف، إنني الرقة فتقارب في عفاف وفض ستري بلطف .

وهناك أعين جائعة:

جائعة لا تشبع ..لا يكفيها ما تملك بل لابد لها أن تسرق ما يملكه الآخرون ،لذا فهي تتلصص حتى تستطيع خطف ما يمكن خطفه ثم

سرعة الهروب حتى لا يراها أحد، فهي لا تعرف أبداً الاستقرار أو الكمون وإنما هي دائمة الحركة ..حركة تردد لا حركة نشاط وعمل .

وهناك الأعين الوقحة :

اعتادت السرقة وتمرست في الرذيلة فصار الكشف شعارها والفضح عنوان حياتها.. فلا تعرف الغطاء لأنها فقدت الرموش والحواجب يوم فقدت معها الحياء والستر .

وهناك الأعين المهزومة:

إنها أعين ضعيفة من ضعف نفسها، مهزومة بانهزام القوة في داخلها.

إنها أعين لا تستطيع أن تثبت في موضع يطلب فيه الثبات ، ولا تستطيع أن تصمد في موقف يستدعي الصمود.

ثابتة فيما ليس فيه مواجهه..

وقورة فيما ليس فيه وجه حق .. فإذا ما ذهبت الأعاصير زاغت وراوغت وانزلقت في حدقتها .. ولن تهدأ.

وهناك الأعين الشريرة:

لا تكتفي أن تنسج من حولك القيود حتى تفضح فيك عجزك في نظراتها،

ولا تكتفي بأن تقتل فيك همتك حتى تلف في ثوب الحداد بقيتك،

ولا يكفيها منك بعضك حتى تقتل فيك كلك .

وهناك الأعين البراقة:

يجذبك فيها البريق فإذا ما ذهبت تبحث خلفه عن مصدر البريق وجدته طبقة زائفة سرعان ما تتلف قشرتها وتموت نضارتها ويبدو يبسانها بعد خضرتها وتشققها بعد نضرتها ..

وهناك الأعين البحور:

تغرق فيها .. تسبح وتسبح فلا تكتشف لها عمق ولا تجد لقرارها قرار ولا لدررها انقضاء ولا لأصدافها انتهاء، وكل الذي تعرفه انك كالربان يحاول اكتشاف مجاهيل أشياء بحب يصحبه حذر ولكن يأخذه حب البحث فينسيه الحذر فيمضي بلا خارطة أو دليل.. تائه يبحث عن شيء مفقود عن عالم ضائع.. كالسابح في دنيا الوجود ، الغواص في بحر محيط يدور ويدور ويبحث ويبحث عما يسمونه المستحيل فيخرج من رحلته بالمتعة والبهجة والسعادة والفرح ولكن تسأله لماذا هو سعيد لماذا هو فرحان فيجيبك لست أدري إنها متعة التوهان، وسعادة الوله، انها رحلة بلا هدف بلا بوصلة رحلة المتعة بلا قيود .

وهناك من الأعين أعين المحبين:

أعين العاشقين، لا تعرف ماسر جاذبيتها، ألكونها عين وفقط؟ أم لكونها من جسد المحب؟ أم أنها المحب نفسه؟ أحسب أنها كذلك .

إنها العين الوحيدة التي لا تتعامل معها بدلالتها كجزء ولكنها أصل الكل، هي الكل بعينه، هي قلب المحبوب وعينه، هي فؤاده وذاته، هي روحة ووجدانه وحياته .. هي المحبوب .

لا يجذبه فيها الجمال بقدر ما يأسره فيها الشعور بمنتهي روعة الكمال.

إنها الصنف الوحيد الذي ينظر اليها بقلبه لا بناظريه ويعاملها بشعوره لا بحسه، ويجول معها بوجدانه لا بكيانه ..

..فهو لا يشبع منها مهما أدام منها النظر، ولا يستطيع مهما نظر أن يحدد معالمها أو أن يسجنها داخل قوالب الرؤية، لانها ليست بقالب يقاس، ولا كيان يخضع لحجم أو مواصفات .

إنها روح تحس لا شكل يقاس، ووجدان ينبض لا قالب يحدد، إنها العين الوحيدة التي مهما جلست تسترجعها فلن تستطيع أبداً تذكرها أو إيداعها خزينة الذاكرة لم ؟! لانها سكنت الوجدان وتمنطقت في الصميم

فكيف تذكر وهي قريبة أذ الا يذكر الا البعيد الغائب .

وهناك الاعين البريئة:

صفحتها مازالت بيضاء لا نقوش فيها ولا رطوش، إنها بريئة براءة الاطفال، فأي النقوش كان أقرب اليها فهي له، وأي الالوان أحب اليها فهي منه .

.. إنها في مرحلة التمايز لا الثبات، النمو لا الا التميز، لذا فهي عالم

مرح متقلب المزاج، يجرب كل الامزجة بل تجربة كل الاخلاط .

والنظر اليها أقرب ما يكون بمشاهدة فيلم مكتمل الوجبات تجد فيه الطعام الدسم والضحكة البريئة واللفظة المدهشة والمنظر الخلاب .. لكنها أي نوع ..لا تعرف إنها كل الانواع .. إنها المرحلة التالية .

..إنها أشبه بالدخول الي حديقة الأطفال، تستمتع فيها بكل نا تجد لكنها ليس كل ما تريد .

إنها دنيا العيون وآه من الذواق الذي يؤثر الجوع، وآه من الغني الذي يحب الفقر وآه والف آه ممن يملك فيؤثر الزهد وآه ممن يحب الجمال فيعلو عليه الي جمال ليس فيه قيود وليس معه ندم وليس بعده فناء وليس لنضارته يبس وليس لحياته عدم ، آه من كعبة الجمال الصامت وظلاله المتحركة وأشباحه المخيفة، وآه منه حين يضحي مقبرة للعاشقين، ومقصله لأمال العابدين .

..الي جمال بلا فناء أكتب

الي قداسة بلا خطيئة أطلب

الي خلود بلا موت أبغي

الي الجمال الذي هو عين الكمال

والكمال الذي هو صفة الجمال أجاهد ....

الجنس بين (الرغبة فيه) و(الحاجة إليه)

يمكن لنا أن نميز بين مستويين من مستويات الإحساس بالجنس: الأول هو (الرغبة فيه) والثاني هو (الحاجة إليه). والفرق بين الاثنين: أن الأول هو (ضرورة) والثاني هو (ضرورة ملحَّة). الثاني يترتب عليه ضرر نفسي وعضوي وذهني، والأول يترتب عليه ضرر نفسي وإنشغال ذهني فحسب. فالحاجات لا تعالج إلا بالشبع منها، أما (المرغوبات) فيمكن الزهد فيها.

وحين تصطدم (الرغبة = الطلب) بالموانع النفسية، والاجتماعية، فمن الضروري قمعها (لا تزني الحرة = ومعناه أن لديها مانع نفسي أشد يكبت الرغبة ويتحكم فيها، ويهذبها، ويحسن توجيهها). أما إذا كانت (الحاجة = الطلب المُلِحْ، والمتكرر) فحينئذ يمثل ذاك ثورة عارمة، لا يوقفها شيء، وبالتالي إن لم تُشبع في إطارها الشرعي، وهو الزواج؛ وإلا كان الإشباع في غيره (العلاقات المحرمة).

ويستوي في هذه (الحاجة) و(الرغبة) كلا المرأة والرجل. ولكن لأن الرجل (فاعل)، وحر الحركة، ومتعدد العلاقات، ويملك القدرة، فإنه له من السبل والوسائل ما يجعله يشبع (حاجاته) في غير نطاقها الشرعي، ويدعمه في ذلك مجموعة من الأنساق المجتمعية، والعادات

والتقاليد الخاطئة التي لا تجرم الرجل حين ينحرف، بينما تقيم الدنيا ولا تقعدها إذا انحرفت المرأة.

والرجل الذي يصم أذنيه عن (حاجات) زوجته، فهو الديوث، الذي يقبل لها الفاحشه في غير فراشه، فضلا عن أن ذلك يشير - لا محالة - عن غباء عاطفي، واستغباء عقلي كبير.

اهتمام

الحب يا سيدتي اهتمام، نعم أبسط تعريفات الحب أنه " اهتمام المحب بمن يحب"؛ ومعنى الاهتمام أن يقر المحب في وجدان معشوقه، وأن يستولي على تفكيره، وأن يجثم على مشاعره.

وبعد الاهتمام الذي يعد أولى عتبات الحب، ودرجاته، تأتي درجات تفوق بعضها البعض، في سلم من الرقي المتبادل بين حبيبين ذابت مشاعر كل واحد منهما فصارا كلا واحدا، لا تستبين معه فرق، أو ثلمة، أو ثغرة.

لا تحسبي أن يؤلم مهجتي، ويحز في نفسي، ويقطُّع نياط قلبي شهوة جارفة فقدها، أو غريزة مدفوعة ودعتها... لا.

رغم أني خلعت بين يديك بكارتي.

وودعت في أحضانك ثوب براءتي.

وألقيت بين يديك رداءي.

ووقفت أمامك عاريا من كل ما يستر سوءتي.

وبدوت معك كالطفل الصغير الذي يلهو حينا بالرضاعة، وأحيانا

بالعبث.. يستمد منك أمانه، وحياته، ويمدك بالقوت الذي به حياة أعضائك.

رغم أني خلعت ثوب عذاري.

وطلقت فيك حياءي.

أنا الآن أقف أمام نفسي عاري الرغبة، مخبوء النزوة، دفين الشوق.

آه ... آه ... آه

يبدو أنني عاطفتى المتدفقة تحتاج إلى أحجار توقف مجراها.

وقلبي الفياض يحتاج إلى عقل يلجم أمواجه.

وأخيرا تذكرتك.

وأخيرا أحست بلهيب انتظارك.

ووخز آلامك.

ووهج مشاعرك.

ربما تصورتك عاشقا مجنونا تطرق أبواب كل النساء.

ربما تصورتك أديبا مفتونا بأنفاس الجميلات.

ربما يصورتك غير ما تعرفه عن نفسك.

آه آه

لن يعلم جرحك غيرك.

ولن يمسح دموع عينيك الحارقة سواك.

ولن يحنو عليك من تحنو عليهم؟

موعد وانتظار

مرتعد الفرائص، يتصبب عرقا،

يغلي داخله، تضطرب أعضاءه،

تخفق نبضاته، تتلاحق أنفاسه،

يكاد يزيغ بصره ترقبا، ووجدانه توهجا، وخواطره تواردا.

واعدته بأنها عما تقليل تأتيه،

صورتها لا تغادر مخيلته،

صوتها يتردد في مسامعه،

رهافة حسها تأتيه قربا وبُعدا،

الوقت يقترب شيئا فشيئا،

وخفقات قلبه تتلاحق نبضا ونبضا،

وعلامات استفهام كثيرة لا إجابة لها:

أي رداء ستلبس؟

بأي صورة ستظهر؟

أي زينة ستتجلى بها؟

أي حُليٍّ ترتديه؟

أي حذاء تمتطيه؟

أي حورية ستكون؟

إن لها صورا شتى، وقوالب متعددة، ورايات متباينة، تحار إلى أي منها توجه ناظريك، وتُسكر قلبيك.

جميلة هي في كل الصور، رقيقة في أدق التفاصيل، ساحرة المأخذ، فاتنة التلفت، عميقة الشعور، وهاجة المنظر. تسلبك كل الحواس، تقتات مشاعرك، وتستحوذ على أفكارك. أنت في حبها طفل صغير فاقدُ الأهلية، مأسورُ الوعي، مأخوذُ الفكرة، مسلوبُ الإرادة، لا تشبعُ من خمر جمالٍ يأسر، ولا ترتوي أبدا من حنان يذيبُ غلظةَ مشاعرك.

أما عينيها فقصةٌ وحدها، حديقةٌ غنَّاءُ مزدهرةُ الروض، وواحةٌ فيحاءُ ممتدةُ الخضرة.. يأسرُك جمالُهما، وعميقُ الفكرة فيهما، ووحيُ التجلي في لحاظهما.

هذه النظراتُ الدفاقةُ المعنى، الملتاعةُ الشوق، المسهبةُ الحديث، المتعددةُ الإشارة، اللطيفةُ الإيحاء تبثُك أسرارهما على وجد، وتذيبك حنانهما على لهيب، وتبوحان بما يذيب الحجر ويفتت الصخر.

أما ملابسها فسترٌ ناطق، وصمتٌ متحرر، وفتنة مستترة، وبساطة

في انبهار.

أخلفت وعدها معه، فظل ينتظرها ولا تأتيه، يخاطبها ولا ترد، ينادى عليها لكنها أصمت عنه أذنيها. ذابت حنجرته نداءً، وصوته صراخا، ومشاعره تنهدا وهدهده لكنها راحت ولم تعد.

ربما لا تعرف مدى تلهفه عليها، ونداء كل ذرات أعضاءه لها، وذوبانه حبا فيها.

هل من المعقول أن تستتر خلف هذه الرقة الموحية قسوة قلب متناه

هل من المعقول أن تدير وجهها عمن طلب، وأن تصم أذنيها عمن نادى، وأن تتركه جريحا تنزف أعضاءه بلا إغاثة

آه آه آه ... كفاها أنها مطلوبة فلم الصدود

كفاها أنها مرغوبة فلم العناد

كفاها أنها الملكة وأنه في مصاف العبيد

حبيبتي ... خففي الصدود فقد أذاب الهجر مهجته

وأزعج البعد فؤاده، وأضني الفقد حبات قلبه

إن من يناجيك اليوم ربما لن تجديه غدا

وإن من يطلبك الساعة ربما فقده الطريق

وإن من أسره هواك ربما تحرر منه

ربما أفاق المخمور

وعاد إلى وعيه السكران

وصحا من غفوته المنتشى

ربما هي لا تصدق قوله

ربما لا تعرف عمق مشاعره

وربما تصورته شاعرا يصف ما انعكس في شعوره لا ما ارتأت عيناه

ربما هالها ما سمعت

وأزعجها ما رأت

لكنها الحقيقة

حقيقة من أبصرك ببصيرته لا بعينيه

ورآك بلب فؤاده لا بحواسه

إن الشعور الأصدق هو ما يدوم، وهو الأبقى أثرا

صدقيني، ربما رأت عيناه فيك ما لم يره غيره

وتحسس من عميق ذاتك مالم تبصره فيك أسرار الكون المنفتح

إن له عينين تبصران السر العميق

وبصيرة تذهب خلف كوامن الحس المستتر

ولب واع يدرك حقائق الأمور

وقلم مرهف ينبع من فيض خواطر دفاقة

هو يعرفك من أنفاسك، يكشف خبايك من بعيد، ويراك في غفلة من حواسه

يسترك من عري

ويحفظك من نقيصة

ويراك دوما في ذرى الفلك الدوار

شوق

كان يدفعه إليها شوق غريب مصدره، عميق منبعه، دفاق تياره، رقيق مخرجه.

شعور من تخلص من جسده، وخلع رداء جسمه، وطلَّق حواسه، وفارق نوازعه، وخلَّص دوافعه.

شعور من أرقه سهاده، واستبدت به أشواقه، وقرَّحت قلبه مشاعره، فصار يهذي بالحبيب، تترنح بذكره كلماته، ويستفيق على بسمات وجهه ذهنه ولُبابه.

قرب منها، لامستها يداه، تدفقت ينابيع العواطف في شرايين فؤاده فكان كمن لامس الفضاء، واحتضن السماء، وطار سباحة في ملكوت الكون الفسيح.

أغمض عينيه تخيلا، وأغرق ذهنه تصورا، اقترب من أنفاسها، فأحرقه وهج الشوق المتدفق منها، ولهيب جمر عواطفها،

أخذ برأسها المتثاقل

أغمض عينيه، كم كان يود لو طالت اللحظات فصارت دهرا لا ينتهي، وحقبا لا تنطوي

رضاب

كثيرا ما كان يستمع إلى سيدة الغناء حين تشدو "أطفئ لظى القلب بشهد الرضاب"، حار في تلك الكلمات ذهنُه، وغاب فيها عن الوعي لُبه، واضطربت في فهم كنهها مداركه، وبات شاردا خياله، مسَّهدة أفكاره... أمعقول أن يحدث هذا؟

هل من الممكن أن يطفـىء ريق الحبيب أنهر النار المشتعلة في خلاياه؟!

وأن تغمر شلالات قبلاته، حريق الجوى الذي استبد في أعماقه؟!

وأن تتكاثف تلك القطرات الرقيقة، فتشكل فيضانا من الشوق يخمد حريق الحب المشتعل في جَنانه؟

هل من المعقول أن تصمت الدنيا إلا من صوت القبلات المشتعلة؟

وأن يسود سكون الكون إلا من شدو الشفاة الظامئة؟

هجير الظمأ؛ روته أنهر القبلات.

واضطراب الحواس؛ سكَّنته التنهدات والعبرات.

حين تقبِّل من تحب فيغيب عن الوعي وعيك.

وتحتضنه، فتحض روحك روحك.

وتلملم فيه وبه أشتات نفسك

وتذوبان سويا في كينونة واحدة، وصوت واحد مغرد وطاغي.

حين تتسابق القبلات لهثا من جحيم المعاناة

وخروجا من أسر التجارب

وولوجا نحو واحات خضراء مزدانة أعطافها، بهية أنوارها، مشرقة شموسها، ندية فروعها، وارفة أغصانها.

إن الحب أعظم لذة في الكون، وأن أعظم ما يدل عليه قبلة صادقة، واحتضان مقيم.

رَهَـفْ

رهيفةٌ هي، رقيقةٌ إلى حد الشفافية، عذوب إلى حد الشبع، طروبٌ إلى حد المسامرة، مميزةٌ إلى حد التفرد، سامقةٌ إلى حد القداسة، شغوفٌ بها إلى حد التعبد، متلهفٌ عليها إلى حد الذوبان، متعلقٌ بها إلى حد الإدمان، متواصلٌ معها إلى حد التمازج.

حين يحاول القلمُ أن يبحث عن كلمات فلا يستطيع

حين ينفدُ مدادُه، وتفنى كلماتُه، وتذهبُ معانيه

حين يرتعدُ الجسدُ فينتفضُ انتفاضةَ الملسوع، وتعلو حرارته كما المحموم، وتذوب ذراتُه كمن يتآكلُ كلُه

حين تراك أنت روحا بلا جسد، وعاطفةً بلا جسم، ومعانىَ تعجز عن حُليِّها الألفاظ، ودفقاتِ فِكَرٍ لا تُمسكها دلالات، ولا تنظمُ حباتِها كلمات.

حِينَ تَنْتَظِمُ ذَرَّاتُك فِي نَسْقِ الكَوْنِ المُتَفَرِّدِ

وَتَتَوَحَّدُ كينونتك فِي مَعْبَدِ الجَمَالِ المُقَدَّسِ

وترى ذاتَك ذاتا، ونفسَك كينونةً بغير صفات

وعالَمك معالمَ لا يختلفُ عليها مخلوق

هي المعراجُ الذي رفعتك طلاسمه

وهي الصراطُ الذي قادتك معالمه

والنَّفسُ التي ارتقت في دروبها روحُك، وغردت في بساتينها نفسُك

وصعدت في أفلاكها دقائقُ ذراتك، حتى لم يبق فيك إلا كونُك فيه، ولم يبق هناك عالم إلا وأنت جزء منه.

ذُبت في ذرات القدْر والقدَر، وطُفت في معارج القُدس والظَّفر، وصرت معبودا لله كما أمر، تحقق فيك مراده والأثر، وتبلغت من دنياك لأخراك.

رجل محير

ما حارت في شخص كما حارت فيه.

يمثل لها لغزا كبيرا، وطلسما يستعصي على الحل.

عرفت من الرجال الكثير والكثير، من السهل لها بخبرة المرأة وحنكة الأنثى أن تتعرف على أي رجل مهما كانت طبيعته

فغالب الرجال، أو كما تسميهم هي الذكور، يفقدون تجلدهم المصطنع، وتماسكهم الهش أمام أنوثة إمرأة، فلا يملكون إلا الهرولة تجاة قطعة الحلوى الكبيرة يدفعهم إليها لعاب يسيل أمام أي مثير مادي غريزي مهما كانت ضآلته، فيستتبعونه باستجابة ضخمة مهما بلغ قبحها... وهو ليس من هذا النوع الذي تجذبة أنوثة المرأة فيمضي على غير وجهته فيسكر من خمر أنوثتها وجمالها مهما بلغت درجات إثارته... هو ليس من هذا الصنف أبدا.

كما أنه ليس من نوعية الرجال الذين يجيدون التخفي، ويحسنون التستر والكمون حتى ينالون ما يبغون.. هذا الصنف أيضا بالنسبة إليها من السهل كشفه، ومراوغته حتى يتم مباغتته متلبسا بجرمه، وشنيع فعله، من نظرة تتلصص، أو لمسة تتحسس، أو غيره مما يتخفي

به أمثال هؤلاء.. إن هذا النوع من الرجال، وإن صوَّر لهم ذكائهم أنهم يستطيعون التخفي؛ فإنما هي فترة بسيطة فتفصح نوازعهم عما استتر من غرائز فسرعان ما يفتضح أمرهم.

أما هو فيبدوا أنه حالة مختلفة لم تألفها قبل، فليس ممن يتعالون على المرأة ويسحقون كبريائها، أو يمارسون نوعا من الرجولة المزيفة في حق هذا المخلوق الضعيف والكيان الليِّن.

وليس أيضا ممن يرونها مجرد زينة يتزين بها في حلة وترحالة، أو تكملة لصورة منقوصة عنده، أو علاجا لتشوُّه داخلي أصابه.

إن مما يحيِّرها فيه انقسام عقلها وقلبها نحوه، فالقلب لا يشك لحظه في صراحته حتى كمال الوضوح، ولا في قوة منطقه حتى بلوغ الحجة، ولا في صدق شعوره حتى بلوغه العمق، ولا في رهافة حسِّه حتى ملامسه شعاع الشمس، ولا في تدفق مشاعره حتى بلوغه الشلال، ولا وضوح أفكاره حتى تجليه في كل الصور، ولا في خيرية صنيعه حتى تمام التضحية.

إن مما يحيرها فيه أنك تستطيع بلوغ عمقه من نظرات عينيه، والتحقق من صدق مقاله من تتبع الشواهد والأدلة.

إنه حقا شخص محير من الصعب قولبته وتأطيره، أو تصنيفه وتحديد هويته.. بسيط حتى الضحالة، عميق حتى اللباب، يبصر ما لا يبصره غيره، ويرى مالا يراه سواه، وما ذاك إلا لأنه دار في مدارات الكون،

فانتقل من مرحلة كيانه، إلى كينونته، ومن كينونته إلى تفرده، ومن نفسه إلى مولاه.

ملامسة

حين يلامس الحب قلبك؛ تصبح شخصا غريبا عما عهدته عنك: يتقافز قلبك، وترتجف أوصالك، وترتعد خلاياك، وتذوب ذراتك، وتسري فيك روح غريب تحييك من موات، فحينئذ ترى نفسك مخلوقا جديدا، تعرف منه اسمه ورسمه، وشكله وصورته، لكن قلبه ولبه وكيانه ومشاعره كما لو أنها لشخص آخر لم يعرفه ولم يقابله.

هو شخص مصنوع من الفولاذ؛ وإن بدا رقيقا قابلا للكسر. شجاعا مهاب الجانب؛ وإن بدا لينا منزوع الحق. عزيز الدمعة؛ وإن ترقرقت في عينيه الدموع.

الحب غيَّره، وهذَّبه، وعدَّله فانتقل من طور البشرية إلى منزلة الملائكية،

وودع شهوانية جسده، وتحرر غريزة جسمه فصار ملائكيُّ الصفة، لَدنيُّ النِّسبة، كينونيُّ الذات.

كَيْنُونَةْ

أول الحـب المـس، ثم تكون الملامسة، ثم يأتي العناق والتضام، ثم يكون الحَنين والذوبان، فالتوحد والتماهي، ثم يكون الاختفاء والتلاشي. رحلة طويــلــة تقطعها من الصفات إلى الذات، ومن الذات إلى الكينونة، فإذا ما عرفت سر الكينونة الكبرى لا يكون إلا الفناءُ والمحو، الذي هو عين الإثبات والخلق؛ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ (٥٤) الأعراف